الحركات السلفية والقتالية (3)

جبهة النصرة
من القاعدة إلى فتح الشّام

تمهيد

لم يكن للقاعدة حراك ظاهر في سوريا قبل انطلاق التحرّك المعارض فيها، ولم يكن ثمّة ما يدعو إلى القلق من تحوّل في وجهة القاعدة إليها، رغم التجربة الطويلة للحركات الإسلامية السوريّة المقاتلة منذ سبعينيات القرن العشرين، ورغم أنّ "أسامة بن لادن" نفسه رمز القاعدة الأوّل، ينحدرُ من أمّ سوريّة، وأمضى فترة من ريعان شبابه الأولى في سوريا، وزوجته الأولى "نجوى" سوريّة، وأكثر أولاده منها.

مع انطلاق ما سمّي بـ"الربيع العربي"، غيّرت القاعدة استراتيجيّتها، وبدل الاعتماد على العناصر الجهاديّة، والتحاق الشباب المباشر في صفوفها، وتأمين معسكرات الاستيعاب والتعبئة والتدريب، سعت إلى اعتماد سياسة جديدة، تقوم على تعبئة جماهير المؤيّدين، أو ما يعرف بـ"الأنصار"، وذلك من خلال العمل على تعبئة الشعوب، واكتساب تأييدها ودعمها، وإيجاد حواضن شعبيّة بين السكّان المحلّيين، تؤمن بمبادئ القاعدة وأيديولوجيّتها الدينيّة وتحكيم الشّريعة.

وجبهة النصرة لم تكن معروفة قبل بدء الحراك المسلّح في سوريا، لكنّ رياح التغيير التي وصلت إلى سوريا، وبدء تشكيل الجماعات المسلّحة، وتكاثرها، حفّزت القاعدة لتكوين بنيتها الخاصّة، وتحريك خلاياها النائمة من أجل "الاستثمار في الحالة السوريّة، فبدأ الجهاديّون بالتّوافد إلى هناك، بتنسيق مع تنظيم القاعدة المركزيّ، وبإشراف مباشر من الفرع العراقيّ، دون الإشارة إلى علاقته بالمركز"[1]؛ فدخلت أولى طلائع القاعدة من العراق، بين تموز وآب عام ٢٠١١، بإيعاز من أمير "دولة الإسلام في العراق" أبي بكر البغداديّ، الذي أوفد "أبو محمد الجولانيّ" إلى أرض الشام، برفقة ثمانية آخرين، لتنظيم الخلايا القتاليّة النائمة، "وفي عام 2012، بدأت النصرة تبرز إلى الواجهة بين المنظّمات المتمرّدة في سوريا بسبب تمدّدها، والثّقة التي حصلت عليها، والأسلحة والتمويل والمقاتلين الذين جاءوا من مجموعة من المانحين الأجانب"[2]، وما لبثت أن أخذت في التوسّع والانتشار، قبل أن يعلن البغداديّ الانفصال عن القاعدة المركزيّة، ويعلن إنشاء الدّولة.

---

[1]- فريق عمل، كيف شقّت القاعدة طريقها إلى دمشق؟ معطيات المرحلة، 22 تموز 2015. http://www.sasapost.com/al-qaeda-in-syria

[2]- انظر jabhat al-Nusra, https://web.stanford.edu/group/mappingmilitants/cgi-bin/groups/view/493

وقد سبق لزعيم القاعدة أيمن الظواهري أن أطلّ في أوّل ظهور له بعد عدّة سنوات، في 8 حزيران 2011 في شريط مصوّر، تمّ بثّه على الشبكة العنكبوتيّة، في رسالة نعي لزعيم القاعدة السابق أسامة بن لادن الذي اغتيل قبل شهر تقريباً (فجر الاثنين 2 أيار 2011 في "أبوت آباد" في باكستان) في عملية كوموندس أميركيّة، توعّد فيها الولايات المتّحدة الأميركيّة بأنّها "لا تواجه الآن فرداً ولا طائفة ولا جماعة، ولكنّها تواجه أمّة منتفضة، أفاقت من سباتها في نهضة "جهاديّة" تتحدّاها حيث كانت. وتوعّدها يوماً كيوم الحادي عشر من سبتمبر". وبحسب المراقبين، الظواهريّ ظهر في الشريط متحدّثاً بلغة القائد على خلاف أشرطته السابقة، يعطي الأوامر لكلّ أفرع القاعدة في العالم، وداعياً إيّاها إلى "الردّ والانتقام". وأيّد الظواهريّ الثّورات العربيّة، داعياً اليمنيّين والسوريّين والليبيّين إلى الاستمرار في ثوراتهم. كما دعا الباكستانيّين إلى "الانتفاض على غرار الثّورات العربيّة"

تزامن كلام الظواهريّ مع انطلاق الحراك المعارض في سوريا، الذي بدأ قبل حوالي ثلاثة شهور منه، فحثّ على الجهاد في سوريا، وحيّا فيها ثباتهم وصمودهم، وحذّر من قوى الاستكبار العالميّ، وعلى رأسهم أميركا، والذين تعاونوا مع الرئيس السوريّ طوال فترة حكمه، واعتبر ما يجري أنّه خوض معركة التحرّر والتحرير، التحرّر من الطواغيت والتحرير لديار المسلمين، وأنّ الثّورة لن تهدأ حتى ترفع رايات الجهاد فوق جبل المكبّر في القدس. وألحق الظواهريّ كلمة أخرى، تطابق تقريباً كلمته الأولى، يوم 12 شباط 2012، بعد حوالي تسعة شهور، غير أنّه لم يكتف من التحذير من الغرب، بل ألحق بهم تركيا والعرب. وتزامنت الكلمة مع بعثة المراقبين العرب ومبادرات الجامعة العربيّة، وبعد وضع "جبهة النصرة" على قائمة الإرهاب الأميركيّة بيوم واحد.

ويلاحظ في كلمة الظواهريّ استبداله في كلمته الثانية كلمة "سوريا" بكلمة "بلاد الشام"، والذي صار الاسم المطلق لدى الظواهريّ والنصرة والدّولة فيما بعد، وعدّت كلمة الظواهريّ الأولى رسالة عامّة، ودعوة وإشارة للأتباع لبدء التفكير في الجهاد في سوريا والإعداد له، بينما جاءت الكلمة الثانية إعلاناً له، إذ إنّها كانت بعد شهر من تفجير الميدان الأول في 6 كانون الثاني 2012، التفجير الذي كان بعد يوم واحد من قدوم بعثة المراقبين العرب، وباسم "غزوة الثّأر لحرائر الشام"، وتبنّت "جبهة النصرة" هذا التفجير رسميّاً عبر جناحها الإعلاميّ مؤسّسة المنارة البيضاء.

ومنذ ذلك الحين انقسمت المعارضة السوريّة حول النصرة وانتمائها وتوجّهاتها، لا سيما بعد تزايد عمليّاتها وانتشارها في مناطق مختلفة من سوريا، وإثبات قدرات قتاليّة عالية لمقاتليها، وامتلاك إمكانات وتجهيزات عسكريّة، لا تمتلك مثلها الفصائل القتاليّة الأخرى والجيش الحرّ، فقيل بأنّها:

- من صنيعة النّظام؛ ذريعة لاتّهام الثورة في سوريا بالإرهاب.
- مخترقة وموجّهة من قبل النّظام.
- جبهتان: جبهة صادقة، تقاتل النّظام، وجبهة من صنع النّظام، وفي خدمته.
- فرع تابع للقاعدة، ومدعوم منها.

وبدا النقاش إلى حدّ كبير بمثابة تصويب على فصيل ناشئ، يقدّم نفسه قوّة منافسة لقوى المعارضة القائمة، ويمثّل تهديداً أيديولوجيّاً، بل وجوديّاً لها، وبدا واضحاً أيضاً أنّ النقاش حول النصرة والاتهامات الموجّهة إليها من قبل الجماعات الأخرى، وبخاصّة العلمانيّة منها المدعومة غربيّاً، جاء بدفع وتوجيه مباشر من الإدارة الأميركيّة، في محاولة للحدّ من تأثير جبهة النصرة على المسارات التي تسلكها أميركا وحلفاؤها في التعامل مع الملف السوري،

ومواجهة النّظام في سوريا، وإسقاط الرئيس الأسد، أو الضغط على النصرة للالتزام بالمسارات المقرّرة، وعدم التأثير سلباً عليها. و"استمر هذا الجدل طويلاً، ما يقرب من عام كامل، ولم ينتهِ إلا باعتراف قائد "الجبهة" بـ"تجديد البيعة" للظواهريّ"[3].

إدراج النصرة على لائحة الإرهاب

وما يؤكّد الدور الأميركي الفاعل في هذا الجدل والغايات الحقيقيّة منه مسارعة الإدارة الأميركيّة إلى الإعلان في 11 كانون الأول 2012 عن تصنيف النصرة كمنظّمة إرهابيّة، وإدراجها على قائمة الإرهاب الأميركيّة، بتهمة انتمائها إلى القاعدة، وتابعة لدولة العراق الإسلاميّة.

وجاء توقيت هذا الإعلان قبل يوم من بدء مؤتمر "أصدقاء سوريا" الذي عقد أعماله في مراكش بالمغرب، بمشاركة وزيرة الخارجيّة الأميركيّة هيلاري كلينتون. وكان السفير الأميركي بسوريا روبرت فورد قد ألمح إلى هذه الخطوة حين أعرب قبل ذلك بأيام (الجمعة 7 أيلول 2012) عن قلق حكومته من تصاعد نفوذ "جبهة النصرة" حين قال: "التنظيمات المتطرّفة في سوريا تزداد نفوذاً بشكل تدريجي في المعارضة المسلّحة... وهذا يمثّل مشكلة للولايات المتّحدة ولمستقبل سوريا"[4].

وكان واضحاً أنّ التصنيف الأميركيّ للنصرة منظّمة إرهابيّة يهدف إلى تعزيز مكانة "الائتلاف الوطني لقوى الثّورة والمعارضة السوريّة" الذي شُكّل في الشهر السابق في قطر بدعم أميركيّ وعربيّ وأوروبيّ، وعزل القوى الإسلاميّة المتشدّدة، وأبرزها "جبهة النصرة"[5].

لكنّ قوّة النصرة وحضورها وامتدادها الجغرافي وسطوتها، وخروج مقاتليها وأتباعها بمظاهرات للتنديد بالقرار الأميركيّ، وخشية الائتلاف المعارض من انعكاس ردّة فعل الجبهة عليه أو محاولة استيعابها في سياق لعبة قلب الأدوار وفتح قنوات تواصل معها للتّفاهم حول المسارات القائمة والخطوط المحدّدة أميركيّاً، دفع القوى السياسيّة المعارضة للدّفاع عن النصرة، باعتبار أنّها فصيل مقاتل للنّظام، وبالتالي، يشكّل الإعلان الأميركي "إساءة للثّورة السوريّة"، وقد دعت هذه القوى لتسمية الجمعة اللّاحقة بـ"لا إرهاب في سوريا إلّا إرهاب الأسد"، وتزامن كلّ ذلك مع بدايات تشكّل "الائتلاف الوطني لقوى الثّورة والمعارضة السوريّة"، ومع مؤتمر أصدقاء سوريا في المغرب[6].

ردّ النصرة على القرار الأميركيّ

وأبدت النصرة موقفاً متصلّباً إزاء الإعلان الأميركيّ، وعملت على استثماره لصالحها سياسيّاً، وفق ما أشار إليه مدير مجموعة الأبحاث والدّراسات حول المتوسّط والشّرق الأوسط (غريمو) أنّ "النصرة، بدفع من الانتصارات

---

[3]– انظر: تقرير من قناة الجزيرة عن الجبهة، 8 كانون الثاني 2013.

[4]– المصدر السابق نفسه.

[5]– قناة العربية– الموقع الإلكتروني https://www.alarabiya.net/ar، واشنطن تصنف "جبهة النصرة" بسوريا تنظيماً إرهابياً: الولايات المتحدة الأميركية قلقة من تزايد نفوذ التنظيم المتصل بـ"القاعدة"، 11 ديسمبر 2012م.

[6]– عبد الله سيف، بين "الدولة الإسلامية" و "جبهة النصرة": القصة الكاملة، الجمهورية، 23 تموز 2013.

التي حقّقتها على الأرض، باتت تظهر أكثر للعلن، وهي تستثمر القرار الأميركيّ بإدراجها على لائحة الإرهاب كونه حقّق لها تعاطفاً بين النّاس"[7].

وفي هذا السياق، توجّه زعيم جبهة النصرة أبو محمد الجولاني في كلمة صوتيّة مسجّلة بثتها "مؤسّسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلاميّ" التابعة للجبهة على شبكة الإنترنت، قال فيها "أصبحت جبهة النصرة في الشّام معادلة، يصعب على الغرب حلّها، وفهم طبيعتها، واستقاء المعلومات اللازمة عنها، طيلة العام والنصف المنصرمين". واعتبر الجولاني أنّ "أميركا تنفّس عن غيظها، وتعبّر عن فشل دورها في المنطقة، وذلك بوضع جبهة النصرة على قائمة الإرهاب، جزاء لها على معونتها لهذا الشعب"، ولفت إلى التأييد الشعبيّ لتنظيمه، بتوجّهه "بالشكر الجزيل لأهلنا وأحبابنا الذين نزلوا السّاحات مستنكرين قرار إدراجنا تحت قائمة الإرهاب"[8].

ورغم ردّ النصرة وزعيمها المتصلّب إزاء القرار الأميركيّ، لكن لا يخفى أنّه موقف تكتيكيّ، يحاكي الموقف الأميركيّ، في سياق الضغط المتبادل وشدّ الحبال التفاوضيّة، عبر إرسال رسائل، مفادها دعوة أميركا للتأنّي في تحديد الموقف من الجبهة، وعدم الذّهاب بعيداً في الموقف، وهذا ما أكّده الجولاني نفسه لاحقاً في حواره مع الجزيرة الفضائيّة (الأربعاء 27 أيار 2015)، حيث بدا الجولاني حذراً في خطابه تجاه الولايات المتّحدة الأميركيّة ومهادناً لها إلى أبعد الحدود، وفاتحاً الباب أمام تسوية ممكنة، تَصرِف أميركا بموجبها النّظر عن الجبهة، مقابل استجابة ما من الجبهة، فلم يعلن عداءه المطلق للولايات المتّحدة، رغم اتّهامه لها بأنّ غايتها أن يأتي "نظام يخضع للإرادة الأميركيّة وللنّظام الدوليّ"، فربط موقفه العدائيّ منها بالاستمرار بضرب النصرة، فضلاً عن تعهّده بعدم تحويل سوريا إلى قاعدة لاستهداف أميركا وأوروبا؛ وفي هذا السّياق، يقول "إذا استمر قصف الولايات المتّحدة لمواقعنا ستكون لذلك انعكاسات ليست في صالح أميركا"، كاشفاً عن تلقّيه إرشادات من زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهريّ، "تؤكد أنّ مهمّتنا هي إسقاط النّظام وحلفائه، مثل حزب الله، ثم التّفاهم مع الشّركاء لإقامة حكم إسلاميّ راشد"، مؤكّداً "لن نستخدم الشّام كقاعدة لاستهداف أميركا وأوروبا"[9].

مراحل نشوء النصرة وتطوّر مسارها

يصف الخبير الأميركيّ بالشؤون الإسلاميّة الكاتب تشارلز ليستر سلوك النصرة، في الفترة الزمنيّة الأولى لظهورها والإعلان عن نشاطها القتاليّ في سوريا، بغلبة الأعمال الإرهابيّة عليه، ويلخّص ليستر تطوّر مسار النصرة في الفترة الممتدّة من عام 2012 حتى العام 2014 "في الأشهر الستّة الأولى من العمليّات العلنيّة لها (يناير- يوليو 2012)، تصرّفت جبهة النصرة كأنّها منظّمة إرهابيّة معهودة، قتلت خلالها عشرات المدنيّين في تفجيرات في المناطق المأهولة والغارات على أهداف مدنيّة تابعة للحكومة في دمشق. بيد أنّ هذه التكتيكات أبعدت جبهة النصرة عن المعارضة المسلّحة الموسّعة في سوريا. في مطلع أغسطس 2012، بدأت الجبهة بالتغيّر. فقد باشرت أولاً بلعب أدوار بارزة على خطوط التّماس في عمليّات أشبه بالعمليّات المتمرّدة والهجمات العسكريّة، بتنسيق وثيق مع جماعات وطنيّة من الجيش السوريّ الحرّ ومجموعات من مختلف الانتماءات الأيديولوجيّة من الصوفيّين، مروراً بالإسلاميّين السُنّة

---

[7]- سكاي نيوز عربية، إسلاميو "النصرة" يريدون ملء الفراغ بسوريا، السبت 29 كانون أول 2012.

[8]- المرجع السابق نفسه.

[9]- مقابلة لزعيم النصرة أبو محمد الجولاني مع قناة الجزيرة الفضائيّة، ضمن برنامج "بلا حدود" يوم الأربعاء 27 أيار 2015.

المعتدلين، وصولاً إلى السلفيّين وما شابههم من الجهاديّين. في السنتين الأخيرتين، اعتمدت جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة، لاعتبارات وغايات مختلفة، استراتيجيّة برغماتيّة مفاجئة في سوريا، تركّز من خلالها على الحفاظ على علاقات تعاونيّة، على الأقل ضمنيّاً، مع جهات المعارضة الفاعلة بكافّة انتماءاتهم. والجدير بالذكر هنا، هو أنّ هذا التحوّل الاستراتيجيّ والرمزيّ كان له تأثير شبه ممتاز. وبعد أربعة أشهر، في ديسمبر 2012، صنّفت وزارة الخارجيّة الأمريكيّة جبهة النصرة كمنظّمة تابعة لتنظيم القاعدة في العراق، وبالتالي كمنظّمة إرهابيّة. ويوم الجمعة التالي، عوضاً عن الابتهاج بهذا التصنيف، تجمّع المدنيّون الداعمون للمعارضة في سوريا كلّها احتجاجاً، تحت شعار واحد "كلّنا جبهة النصرة". فيما بعد، ساعد تبدّد نفوذ جماعات الجيش السوريّ الحرّ وتنامي قوّة وسيطرة الإسلاميّين والسلفيّين خلال العام 2013 بتعزيز شعبيّة جبهة النصرة ونفوذها، وقدّم لها دورها الريادي في العمليّات الناجحة وتجنّبها شبه الكامل لأعمال العنف مع المعتدلين، فرصة لا مثيل لها من قبل بين كافّة أتباع تنظيم القاعدة. لكن في الأشهر القليلة الأخيرة تغيّرت الأمور بشكل بارز. وعلى الرّغم من الظهور البارز لفصائل جبهة النصرة المختلفة في سوريا، هناك عامل واحد يظهر دائماً، وهو أنّ التّنظيم يبدو أكثر اهتماماً بمصلحته الذاتيّة، ويسعى لإثبات نفسه أكثر. وظهر ذلك بشكل خاص في منطقتين في البلاد؛ على طول الحدود الأردنيّة والتركيّة، ولا يبدو ذلك محض صدفة. منذ مطلع العام 2014، بدأت جبهة النصرة بفرض نفوذها بثقة أكبر في محافظة درعا على الحدود الأردنيّة. وهناك، استغلّت الجبهة حالات الاستياء والامتعاض المتزايدة بين المتمرّدين "المعتدلين" حيال ما اعتبروه مستوى غير كافٍ من المساندة التي تقدّمها غرفة العمليّات ذات القيادة الأمريكيّة والواقعة في العاصمة الأردنيّة عمان. وقد عزّزت عمليّات الانشقاق من مجموعات أخرى للانضمام إلى جبهة النصرة في درعا والقنيطرة المجاورتين، وإن كانت صغيرة، بتعزيز ثقة التّنظيم إلى حدّ كبير، حتى أنّها في بعض الأحيان هاجمت الوحدات ذات التوجّه المعتدل، وكذلك أفراداً معتدلين، اعتبرتهم معارضين لوجودها، إلّا أنّ جبهة النصرة لا تواجه المعتدلين أو خصومها الظاهرين ضمن جماعات المعارضة مباشرةً، بل تعمل ببساطة على الحدّ من نفوذهم في المجتمع وديناميكيّات النّزاع. وبدا تشكيل ما عُرف بالجبهة الجنوبيّة في 13 فبراير 2014، كائتلاف غير رسميّ للمجموعات ذات الأيديولوجيّة المشابهة للجيش السوريّ الحرّ، خطوة إيجابيّة، لكنّها أخفقت بأن تكون أكثر من مجرّد نداء للدّاعمين الخارجيّين لتوفير التّمويل والتّجهيزات؛ وبذلك، حصل عدد محصور من أعضاء الجبهة على المزيد من الدّعم مذّاك، إلّا أنّه لم يكن كافياً إلى حدٍّ كبير لتغيير مسار المعركة مع الحكومة أو للحدّ من قوّة جبهة النصرة المتصاعدة بشكل مطّرد"[10].

إنشاء دولة العراق والشّام الإسلاميّة

يوم الثلاثاء 9 نيسان 2013 أعلن أبو بكر البغدادي، في مقطع صوتي، عن إنشاء اتّحاد، يضمّ "دولة العراق الإسلاميّة" و"جبهة النصرة لأهل الشّام"؛ وذلك في إطار إنشاء الاتّحاد وما يسمى "دولة العراق والشّام الإسلاميّة"، عازياً ذلك إلى وجود مبرّر شرعيّ لتغيير المسميّات والرّايات وتوحيدها، بعد أن كان للقاعدة خلايا سابقة، وهي في حالة كمون وإعداد، كما أنّ الجولاني "وهو أحد جنودنا"، كما خاطبه، مرسل من قبله مع عدد من الرّجال المهاجرين والأنصار، واعداً بمناصفته "بيت المال" شهريّاً، وأنّ الإعلان عن الدّولة لم يحصل قبل ذلك حتى يعرف

[10]– تشارلز ليستر، هل تلوح جبهة النصرة "الحقيقية" في الأفق؟، 7 آب 2014، http://www.brookings.edu/ar

الناس حقيقتها، بعيداً عن تشويه الإعلام، وأنّه قد آن الأوان لإعلان أنّ "الجبهة" ما هي إلا امتداد لدولة العراق وجزء منها، وأعلن "إلغاء اسم دولة العراق الإسلاميّة، وإلغاء اسم جبهة النصرة، وجمعهما تحت اسم واحد هو الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام"[11]. كما أعلن البغدادي فتح يده للفصائل والعشائر في بلاد الشّام للاجتماع "على تحكيم شرع الله"، وعدم ترك السلاح "حتى يحكم الشرع"، على أن يتولّى أبناء الشّام من "مجاهدينا" الإشراف على إقليم الشّام، ومحذّراً إيّاهم أن يتخلّصوا "من ظلم الديكتاتوريّة"، ليذهبوا "إلى ظلم الدّيمقراطيّة!"

موقف الجولاني

لم يمض يوم على إعلان البغداديّ حول إنشاء الاتّحاد" وقيام "دولة العراق والشّام الإسلاميّة" حتى نشر الجولانيّ في صباح يوم الأربعاء 10 نيسان 2013 تسجيلاً صوتيّاً، عبر موقع "المنارة البيضاء التّابع للنصرة، بيّن فيه الموقف من خطاب البغداديّ، وتوجّه فيه بمخاطبة "جميع المسلمين والفصائل المقاتلة والمجاهدين وأهل الشام وأبناء "جبهة النصرة"، فأنكر علمه بإعلان التوحيد مع دولة البغداديّ، وأنّه ما علم بذلك إلّا مما نُشر في وسائل الإعلام، مشيراً إلى أنّ الخطاب "منسوب" للبغداديّ دون تأكيده أو نفيه، فإن كان حقيقيّاً فهو قد حدث دون استشارة، مؤكّداً أنّه كان من المشاركين في "جهاد" العراق منذ بدئه حتى بدء الثورة السوريّة، إلّا ما حدث له من انقطاع قدري خلال فترة السجن، معترفاً بالفضل "لمجاهدي" العراق وللشّيخ البغداديّ، وذكر أنّ البغداديّ وافق على مشروع طرحه الجولانيّ لنصرة بلاد الشّام، ومصدّقاً البغداديّ بمشاركة نصف بيت المال والإمداد بالرّجال، ومشدّداً أنّه التزم الإعلان منذ البدء القيام "لتحكيم شرع الله"، مبيّناً الاختلاف مع البغداديّ أنّه رغم ذلك لم يرغب بالاستعجال بالإعلان للمصلحة، "وما دمنا نقوم بمهام الدّولة، وهو الجوهر، فالإعلان ليس مهمّاً"، وقال إنّ "الدّولة تُبنى بسواعد الجميع ممّن شارك في الجهاد، وليس بفصيل واحد، وأنّ عدم الإعلان لم يكن عن رقّة في الدين أو ضعف، وإنّما لحكمة وسياسة شرعيّة"، وأضاف "إنّنا نستجيب لخطاب البغداديّ ـ حفظه الله ـ بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، ونجدّد البيعة للشيخ الظواهريّ، تبقى "الجبهة" على حالها، وتبقى رايتها على حالها، وإعلان البيعة لن يغيّر سياسة الجبهة"[12].

وبهذا الخطاب، أرسى الجولانيّ قواعد المرحلة المقبلة للجبهة، والوجهة التي تسير فيها، وفي الوقت الذي عبّر فيه بصورة جليّة عن التزامه بتبعيّة الجبهة للقاعدة، ومبايعة زعيم القاعدة أيمن الظواهريّ، وعدم السير في ركب البغداديّ، وعدم موافقته على فكرة الاتّحاد والمشاركة بالدّولة، وبالتالي، إبراز التباين في وجهات النظر، ما يؤشّر إلى خلاف سابق مع البغداديّ، فقد لمّح للبغداديّ أيضاً، بضرورة التخلّي عن مشروعه المنفرد، والالتزام بالانتساب إلى القاعدة وبيعة زعيمها الظواهريّ، واتّخذ تلميحه أسلوباً دبلوماسيّاً هادئاً غير معهود لدى الجماعات التكفيريّة، بمحاولته التخفيف من مضمون ما ورد في خطاب البغداديّ، وإشارته إلى أنّ الشريط منسوب للبغداديّ، وموافقته على مبدأ الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، ومحاكياً البغداديّ بمدّ يده لجميع الفصائل والمقاتلين.

---

[11]– سكاي نيوز عربية، النصرة" بسوريا "تبايع" الظواهري، الأربعاء 10 أبريل, 2013 .

[12]–انظر: نص كلمة الجولاني: https://www.youtube.com/watch?v=QXZ3YpzF4Mw

لكن الخلاف سرعان ما تبدّى على أرض الواقع، فتوزّع "الجهاديّون" بين مؤيّد للبغداديّ، وغالبيّتهم من المهاجرين غير السوريّين، ومؤيّد للجولانيّ، وغالبيّتهم من السوريّين.

موقف الظواهريّ وسبب الخلاف

كان لافتاً خطاب زعيم القاعدة أيمن الظواهريّ الذي بثّته قناة الجزيرة يوم الاثنين 8 تشرين الثاني 2013[13]، والذي يعود تاريخ نشره الأول إلى 23 أيار 2013، أي قبل أيام من خطاب البغداديّ في 15 حزيران 2013، انتقد فيه الظواهريّ إعلان زعيم دولة العراق الإسلاميّة "أبو بكر البغداديّ" إنشاء تنظيم الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام من دون استشارة قيادة تنظيم القاعدة أو إخطارها، وأمر بإلغاء "الدّولة الاسلاميّة في العراق والشام"[14]، مؤكّداً أنّ جبهة النصرة هي فرع التّنظيم في سوريا، وأنّ الجولانيّ يبقى أميراً على الجبهة لعام كامل من تاريخ هذه التوجيهات، و"أبو بكر البغداديّ" هو فقط أمير "الدّولة الإسلاميّة في العراق" عاماً كاملاً، ثم يقدّم تقريراً إلى قيادة تنظيم القاعدة عن أدائه، ليُصار فيما بعد إلى تجديد الإمارة له، أو اختيار أمير آخر[15].

لكنّ قرار الظواهريّ لم يلقَ استجابة من جانب البغداديّ، بل قوبل برد فعل متمرّد منه، ملمّحاً إلى قلّة خبرة لدى الظواهريّ، وتخاذل واستهانة وعدم امتلاك رؤية بعيدة؛ ففي تاريخ 15 حزيران 2013 أصدر البغداديّ كلمة يقول فيها: "الدّولة الإسلاميّة في العراق والشام باقية ما دام فينا عرق ينبض أو عين تطرف، ولن نساوم عنها حتى يظهرها الله تعالى أو نهلك دونها"، وأضاف "ما تلبث الأيام أن تنجلي عن بصر ثاقب في الرؤية على المدى البعيد، عجزت أبصار القاعدين وأصحاب الأهواء والمتخاذلين عن إدراكها، فيعود المنكِر، إن لم يكن متعالياً، مقرّاً، ويعود المعترض موافقاً، والذامّ مباركاً. ولله الحمد".

وجدّد البغداديّ في 9 تشرين الثاني 2013 رفضه لموقف زعيم القاعدة وعدم الاستجابة لأمره بحلّ الدّولة، وقال معلّقاً على رسالة الظواهريّ "حفظه الله، فإنّ لنا عليها مؤاخذات شرعيّة ومنهجيّة عديدة، وقد خيّر العبد الفقير بين أمر ربه المستفيض وبين الأمر المخالف لأمر الله تعالى، وبعد مشاورة مجلس شورى الدّولة الاسلاميّة في العراق والشام، من مهاجرين وأنصار، ومن ثم إحالة الأمر إلى الهيئة الشرعيّة، اخترت أمر ربّي على الأمر المخالف له في الرسالة"[16].

---

[13]– بحسب موقع قناة الجزيرة فإن الشريط الصوتي المسجل قد حصلت عليه في هذا التاريخ (8 تشرين الثاني 2013) وبثته في اليوم نفسه، لكنّ تاريخه يعود إلى الـ13 من رجب الماضي (23 مايو/أيار) وبثّته مواقع إسلاميّة على الإنترنت. ووفقاً للموقع، فقد أفاد مدير مكتب الجزيرة في عمّان ياسر أبو هلالة أنّ هذه الرسالة موجّهة خصّيصاً لـ"أبو بكر البغدادي"، وجاءت استجابة لأسئلة طرحت بعد الخلافات والاشتباكات الميدانيّة بين بعض الفصائل، مما سمح للقوّات النظاميّة السوريّة بالتقدّم في عدد من المناطق".

[14]– قال الظواهري في التسجيل الصوتي: "تلغى دولة العراق والشام الاسلامية ويستمر العمل باسم دولة العراق الاسلامية"، مؤكداً أنّ "جبهة النصرة لأهل الشام فرع مستقل لجماعة قاعدة الجهاد، يتبع القيادة العامة". وأوضح الظواهري أنّ "الولاية المكانية لدولة العراق هي العراق، الولاية لجبهة النصرة لأهل الشام هي سوريا". وأضاف الظواهري في تسجيله الصوتي "أخطأ الشيخ أبو بكر البغدادي الحسيني بإعلان دولة العراق والشام الإسلامية دون أن يستأمرنا أو يستشيرنا أو حتى إخطارنا (...) وأخطأ الشيخ أبو محمد الجولاني بإعلانه رفض داعش وإظهار علاقته بالقاعدة دون يستأمرنا أو يستشيرنا أو حتى إخطارنا." أنظر: موقع الجزيرة http://www.aljazeera.net/news/arabic، 8 تشرين الثاني 2013.

[15]– قناة الجزيرة الفضائية، الظواهري يلغي تنظيم ''دولة العراق والشام'' (داعش)، موقع: عراق القانون http://www.qanon302.net/news، 2013/11/08.

[16]– الظواهري يلغي "دولة الإسلام في العراق والشام" والبغدادي يرد: باقون في سوريا، 8 تشرين الثاني 2013 http://www.naharnet.com .

وفي المقابل، وبعد مضي حوالي الشهر من كلمة الظواهريّ، أظهر قائد النصرة أبو محمد الجولانيّ التزاماً بقرار الظواهريّ؛ وذلك عبر شريط مسجّل، نشر على مواقع الكترونيّة "جهاديّة" في 21 تموز 2013، بدا أنّها جاءت لشدّ عصب الأتباع، غلب عليها اللغة الشديدة غير المعهودة للجولانيّ، تبرّأ فيها مما ينسب للجبهة من أفعال مشينة، والخلافات الحاصلة بين الفصائل[17]، اتّهم فيها الأمم كلّها بمعاداة الإسلام، والخوف من عودته، وندّد بوضع النصرة على قائمة الإرهاب، معلناً عدم اكتراثه بأميركا والغرب، وهاجم حزب الله والشيعة، واعتبر أنّ مشروعهم الفارسي إنّما وُجد لإبادة السنّة، نافياً مسؤوليّة النصرة عن تفجير الضاحية الجنوبيّة، ولكنّه اعتبره ردّ فعل طبيعي، ودعا من "يدّعون" التشيّع إلى التخلّي عن حزب الله وإلا سيتعرّضون للأهوال، كما دعا اللبنانيّين إلى تغيير واقعهم والتخلّص من حزب الله، واعتبر أنّه لولا مساعدات إيران والعراق لما بقي النّظام في سوريا على قدرته في إدارة البلد؛ ودعا الفصائل للتوحّد على إقامة الشّريعة وعدم التفرّق والاختلاف والاستئثار بالحكم بحجّة التقديم والتّضحية[18].

لكنّ خطاب البغداديّ الهادئ والمدروس تجاه زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهريّ لم يدم طويلاً، فبعد أشهر قليلة من ردّه على خطاب الأخير، شنّ هجوماً شديداً على الظواهريّ، نشر في إحدى المواقع التابعة له ليل الأربعاء 9 نيسان 2014 بعنوان رسالة الدولة الإسلاميّة في العراق والشّام إلى تنظيم قاعدة الجهاد، ووصف الظواهريّ فيه بـ (السارق والمارق)، و"المتشيّخ"، معتبراً أنّ عرشه سقط وشرعيّته تلاشت، واتهم ممثّل الظواهريّ في حلّ الخلاف بين النصرة والدّولة "أبو خالد السوريّ" بـ"النفخ بكير الفتنة المقيتة"، ووصف الجولانيّ بأنّه "تكبّر على أسياده، مدّعياً بأنّه اللّيث الرهيس" ونقل عن أحد قياديي داعش، ويدعى أبو إبراهيم الموصلّي، تسجيلاً مصوّراً[19].

استراتيجيّة النصرة

تتبنّى النصرة التوجّه السلفيّ التكفيريّ، وهي مجموعة مسلّحة قتاليّة متمرّدة على نّظام الرئيس الأسد القائم في سوريا، وهدفها المعلن هو إسقاط النّظام، والدّعوة لإقامة حكومة إسلاميّة محلّه، وهي، على النّقيض من داعش، ترى أنّ الظروف لا تتوافر في الوقت الرّاهن لإقامة دولة دينيّة جديدة، دون دعم من جماعات إسلاميّة أخرى، وأنّ الإعلان عن إقامة الدّولة الإسلاميّة سوف يضرّ بمشروع إسقاط النّظام السوري الذي يشكّل الهدف الأساس

---

[17]– عبد الله سيف، بين "الدولة الإسلامية" و"جبهة النصرة": القصة الكاملة، الجمهورية، 23 تموز 2013، مرجع سابق.

[18]– المرجع السابق نفسه.

[19]– انظر:التسجيل المصوّر: https://www.youtube.com/watch?v=i6itv2vo6N8. وهذا نص كلمة الموصلّي: قال فيه "قولنا الصاعق الحارق إلى المتشيج المارق إلى أيمن الظواهري (زعيم تنظيم القاعدة، وأضاف: وما الأحداث التي تشهدها ساحة الجهاد في العراق والشام، وما الزوابع العاصفة التي تهز كيان الدولة (الإسلامية في العراق والشام) هما مكر المتسلقين على إنجازات قادة الجهاد المتمكنين المسيطرين، هما النفخ بكير الفرقة المقيتة من أمثال أبو خالد السوري (القيادي البارز في تنظيم القاعدة الذي قتل في حلب شمال سوريا) وأعيان الجهاد الورعين إلاّ من صنيع عصبة المتشيخ أيمن الظواهري وغلو جريرته المتنطعين وتابع الموصللي وكذلك (أبو محمد) الجولاني (زعيم تنظيم جبهة النصرة لأهل الشام) الذي تكبر على أسياده مدعياً بأنه الليث الرهيس، وإنه سيقلب الموازين مع أشباحكم من أنزال (سايكس بيكو) وأعوانهم الموترين الضالين المضلين .وزاد وليعلم من أمثال ظاهرة الظواهري وظهيره (في إشارة إلى الجولاني) لقد سقط عرشك وتلاشت شرعيتك حين آثرت أن تنزل طوعاً من التي في ناصيتها الخير المعقول وتخليت عن الصادقين من الفرسان تحت راية النبي رافعي الرايات السوداء، وترهلت شكيمة العزة والكرامة فيك، وجبنا امتطيت حصاناً من حديد دون وقود، وتخلفت عن الثغور، وارتضيت بالقعود لماكينات التصوير والبنادق الخشبية والمجلدات الذهبية والكراسي الجلود، وتابع الموصللي، موجهاً كلامه للظواهري قائلاً، أردت أن تربك عزم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" برماح داحس والغبراء، ولكن ببراميل البارود، وأضاف وبرب الكعبة في أضغاث أحلامك، يمكنك أن تجول، ولكنّك لن تصول، فلن يبقي لك خردة في الدولة من صحرائها إلى رافديها، ولا في الشام وجبالها وساحلها، ولا على ذرّة تراب بأرضها حتى الحدود. ثم وجّه الموصلّي كلمة ختاميّة للظواهري قائلاً "عرضت ما شهدتم، وقلت ما سمعتم".

للعمل "الجهادي". وأوضحت موقفها من تأسيس إمارة إسلاميّة بعد أن سرّب كلام للجولانيّ عبر المواقع الإلكترونية للجماعات السلفيّة، في صيف 11 تموز 2014، وصف بـ"الملتهب" و"الهامّ"، قال فيه إنّه "قد حان الأوان أيّها الأحبّة لنقيم إمارة إسلاميّة على أرض الشّام"؛ وذلك "لتحكيم شرعه ونشر نهجه"، وأنّ "مفتاح هذه الإمارة بأيديكم"، مؤكّداً لأتباعه على صعوبة المهمّة التي تنتظرهم، كما أعلن عن تقسيم قوّاته لكتائب وسرايا، وإقامة "محاكم شرعيّة"، وأنّ "الجيش الذي سيقوم على صيانة هذه الإمارة يجب أن يكون جيشاً قويّاً متيناً، قلوب أصحابه مفعمة بالإيمان". كما نقل عن الجولانيّ كلام آخر ـ يبدو أنّه جرى سحبه سريعاً ـ "يذكر الجولانيّ خطّته بقيام أربع إمارات، كجزء من إمارة واحدة، اثنتين في المنطقة الشماليّة (إدلب وحلب) وواحدة في المنطقة الجنوبيّة (درعا) وواحدة في المنطقة الغربيّة (الغوطة)، دون الاقتراب من المنطقة الشرقيّة ـ في إعلان يبدو أنّه تسليم للمنطقة لـ"الدّولة الإسلاميّة" التي كانت تقاتل "النصرة" في دير الزّور حينها، ولم ترسل الأخيرة مدداً لقوّاتها هناك، كما أنّها سلّمت مناطق سيطرتها في حلب لبقيّة الفصائل المتواجدة هناك".

غير أنّ النصرة عادت، وأصدرت، بعد أيّام، بياناً وصف بالتّوضيحي، أكّدت فيه صحّة الكلمة المسرّبة، لكنّه قال "إنّنا نسعى لإقامة إمارة إسلاميّة وفق السّنن الشرعيّة المعتبرة، ولم نعلن عن إقامتها بعد: وأنّها لن تعلن عن إقامتها إلّا في اليوم الذي يوافقها فيه "المجاهدون الصّادقون والعلماء الربانيّون"، وذكر أنّ "إعلان الإمارة كان لمنع الآخرين من قطف ثمار المجاهدين"، وإقامة "مشاريع علمانيّة أو غيرها"[20].

وعليه، فقد وضع الجولانيّ شرطين لإقامة الإمارة الإسلاميّة: الأوّل، تراجع النّظام؛ الثّاني، مشاركة جميع الفصائل في تحديد ما إذا كان أو لم يكن ممكناً تحويل سوريا إلى دولة إسلاميّة.

السّياسة العامّة

في 28 كانون أول 2012 وجّه الجولاني رسالة صوتيّة مسجّلة، تحت عنوان **"أهلَ الشامِ فديناكم بأرواحنا"**، بثّتها "مؤسّسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلاميّ" التي تتولّى عادة نشر أشرطة وبيانات جبهة النصرة على شبكة الإنترنت، وذكّر الجولاني أنصاره بأنّ النصرة ليست "حزباً سياسيّاً، بل جبهة، تعنى بشؤون المسلمين عامّة"، وحدّد بعض السّياسات العامّة للجبهة ومسارات عملها، وهي[21]:

1. طلب الاهتمام بشؤون الناس الحياتيّة، وتوفير الأمن لهم، ومعاملتهم بشكل جيّد.
2. الدعوة إلى توفير الخدمات المعيشيّة، عبر "إعانة الناس وإدارة الأفران والمخابز"، و"توزيع الوقود، وتوفير أسس المستوصفات، وإعادة الإعمار ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً".
3. الحكم وأداء دور السّلطة، وذلك عبر "توفير الأمن للناس"، وإنشاء "مراكز إصلاح ذات البين والفصل في النّزاعات".
4. مدّ جسور مع الفصائل الأخرى، عبر التشديد على "الحفاظ على طيب العلاقة مع الجماعات الأخرى (المقاتلة)، وحسن معاملتهم، وغض الطرف عن أخطائهم".

[20]– انظر: عبد الله سيف، القاعدة في سوريا: من الدولة إلى الخلافة، 8 آب 2014.

[21]– انظر: جبهة النصرة– مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي، https://shame210.wordpress.com/2012/12/28

الأهداف والتكتيكات

تعدّ النصرة واحدة من أقوى الفصائل المتمرّدة في سوريا، ومقاتلوها على درجة عالية من التّدريب والتّسليح، ونشطت في 11 من أصل 14 محافظة سوريّة، خاصّة في إدلب، حلب، ودير الزور. ومنذ البداية، استهدفت النصرة في عمليّاتها القتاليّة والانتحاريّة نظام الرئيس الأسد في سوريا وحكومته، والقوى الحليفة التي تدعمه، مثل إيران وحزب الله وروسيا، وضرب مصادر قوة النّظام، البشريّة والماديّة، وتفتيت البنى والرّكائز التي يقوم عليها، وتشتيت القوّة العسكريّة للجيش السوريّ والقوى المسلّحة الأخرى، والنيل من معنويّات قادته وجنوده، وإرهاب السكّان المدنيّين وتهديدهم.

وشاركت النصرة باكراً في النشاط القتاليّ وأعمال العنف، فبدأت مع التفجيرات الانتحاريّة والسيّارات المفخّخة، التي استهدفت القوّات الحكوميّة والمدنيّين على حدّ سواء؛ وعلى سبيل المثال، إنّ **أوّل بيان صدر عنها في 23 كانون أول 2011، جاء إثر تفجير مقرّ أمن الدولة في كفرسوسة، وفرع المنطقة للأمن العسكريّ في الجمارك، وأدّى إلى مقتل 44 شخصاً، ونشر البيان على موقع إلكترونيّ، أنشئ قبل يوم من التفجير، ليعود ويختفي، أي قبل الإعلان الرسميّ عن نفسها بشهر**[22]. **ثم أعقبه بيان آخر، إثر التفجير الانتحاريّ الذي حدث في حيّ الميدان بتاريخ 6 كانون الثاني 2012**، وتفجيرين ضخمين في مدينة حلب في ساحة هنانو بتاريخ 2/10 /2012، وتفجير القصّاع في 2012/3/17 في العاصمة دمشق، وتفجير القزّاز في 2012/5/10، والذي راح ضحيته 70 قتيلاً، وتفجير مشفى الحياة في 10 أيلول 2012، واستهداف ساحة سعد الله الجابري في مركز المدينة في 3 تشرين الأول 2012 بثلاث تفجيرات، استهدفت مبنى الضباط والفندق السياحيّ والقصر البلديّ، ثم السيطرة على مركز البحوث العلميّة في حيّ حلب الجديدة بعمليّة "انغماسيّة"[23].

وبدأت في عام 2012 المشاركة في المزيد من العمليّات العسكريّة التقليديّة، والهجوم والسيطرة على المزيد من القواعد والوحدات العسكريّة التقليديّة للنّظام، مثل المطارات ونقاط التّفتيش، والادّعاء بالاحتفاظ بمناطق حظر جويّ مع أسلحة مضادّة للطّائرات.

كما استهدفت النصرة المدنيّين بعدد آخر من التفجيرات التي استهدفت مناطق سكنيّة، مثل تفجير سيارة في تشرين أول 2012، استهدف نادي الضباط في ساحة عامّة. هذا، مضافاً إلى إطلاق صواريخ وقذائف الهاون على السكّان المدنيّين، وحمّلت منظّمة "Human Rights Watch" ـ في تقريرها للعام 2016 الخاصّ بسوريا ـ "النصرة" و "داعش"، على حدّ سواء، مسؤوليّة ارتكاب "انتهاكات منهجيّة واسعة النّطاق، منها استهداف المدنيّين وعمليّات خطف وإعدام" العشرات من التفجيرات الانتحاريّة التي تسبّبت في قتل الكثير من المدنيّين في المدن السوريّة"[24]، ومن أبرز المجازر التي ارتكبتها النصرة حتى أيّار عام 2016:

---

[22]- أعلنت جبهة النصرة بيانها التأسيسي الأول في 24 كانون الثاني 2012 ، ونشرته في 25 أيار 2012. لكن، حين سئل أبو محمد الجولاني عن تأسيس الجبهة في المقابلة التي أجراها تيسير علوني معه لقناة الجزيرة، قال إنها تأسست في فبراير/شباط سنة 2012. أنظر: سلامة كيلة، سيرة ذاتية لجبهة النصرة لأهل الشام، العربي الجديد (https://www.alaraby.co.uk/)، 1 أيلول 2014.

[23]- عارف حاج يوسف، خريطة الفصائل المسلحة في حلب، الجمهورية ((http://aljumhuriya.net/، 6 آذار 2015.

[24]- انظر: التقرير العالمي 2016: سوريا، (https://www.hrw.org/ar/world-report/2016/country-chapters/285669).

- مجزرة نهر قويق في منطقة بستان القصر في حلب، مطلع عام 2013[25]، أعدمت النصرة خلالها عشرات المواطنين، وألقت بجثامينهم في النهر، بعد رفضهم التعامل معها.
- مجزرة حطلة في ريف دير الزور بحقّ مزارعي البلدة، في 10 حزيران[26]، ذهب ضحيّتها 24 قتيلاً 2013.
- مجزرة خان العسل في ريف حلب في تموز 2013[27]، نفذت فيه النصرة إعداماً جماعيّاً ذهب ضحيّتها 123 قتيلاً، وألقت بجثامينهم في نهر قويق بمنطقة بستان القصر في حلب، معظمهم من المدنيّين.
- مجازر في أكثر من عشر قرى بريف اللاذقية (الحمبوشية، الخراطة، بلوطة، أسترية، بارودة، الرمثة، دورية، سلمى، أوبين، أبومكة، انباتة، برمسة)[28]، بين 4 و 18 آب 2013. جاء في تقرير منظمة هيومن رايتس ووتش حول المجزرة في 11 تشرين الأوّل 2013، "جمعت هيومن رايتس ووتش أسماء 190 مدنياً قُتلوا على يد قوّات المعارضة في هجومها على القرى، بينهم 57 سيدة وما لا يقلّ عن 18 طفلاً و14 رجلاً مسنّاً. وأكّد التقرير أنّ هؤلاء الأشخاص مدنيّون من خلال المقابلات ومقاطع الفيديو والصور، ومراجعة سجلّات المستشفى". وأضاف "توصّلت التحقيقات إلى أنّ عشرين جماعة مسلّحة من المعارضة على الأقلّ قد شاركت في العمليّة التي وصفوها بمسمّى "حملة أحفاد عائشة أمّ المؤمنين" و "هجمة بارودة" و "عمليّة تحرير السّاحل"، والتي استمرت من 4 إلى 18 أغسطس/آب، غير أنّ خمس جماعات - هي الأطراف الأساسية التي حشدت التمويل ونظمت وخططت ونفذت- كانت حاضرة في الهجمات بوضوح منذ بدء العملية في 4 أغسطس/آب. وهي: أحرار الشام، الدولة الإسلامية في العراق والشام، جبهة النصرة، جيش المهاجرين والأنصار، صقور العز".
- مجزرة قرية صدد في ريف حمص، في تشرين الأوّل 2013، نفذتها النصرة وداعش، ذهب ضحيتها عشرة مدنيّين[29].
- مجزرة عدرا العماليّة بريف دمشق، في شهر كانون الأول 2013[30]، ارتكبها جيش الإسلام بمشاركة النصرة، ذهب ضحيّتها أكثر من 80 قتيلاً، غالبيّهم من الأطفال والنساء.
- مجزرة قرية قلب لوزة في ريف إدلب في 10 حزيران 2015[31]، ذهب ضحيّتها 30 شهيداً من عائلة واحدة، بينهم رجال دين.
- مجزرة الزّارة في ريف حماه الجنوبيّ، في 12 أيّار 2016[32]، نفّذتها "جبهة النصرة وفصائل أخرى، ذهب ضحيّتها أكثر من 120 من أبنائها من الطائفة العلويّة، بين قتيل ومفقود.

---

[25]- انظر: بالصور: مجزرة جماعية ترتكبها عصابات جبهة النصرة بحق عشرات المخطوفين وألقت بجثامينهم في نهر قويق بحلب، وكالة أنباء براثا، 30 كانون الثاني 2013.

[26]- انظر: مجزرة حطلة | 60 قتيلاً وحرق منازل ودور عبادة، الأخبار، ١٣ حزيران ٢٠١٣.

[27]- انظر: جريمة خان العسل إبادة جماعية ضد الإنسانية، قناة العالم، 29 تموز 2013.

[28]- انظر: "دمهم ما زال هنا" عمليات الإعدام وإطلاق النار العشوائي واتخاذ الرهائن من قبل قوات المعارضة في ريف اللاذقية اللغات، تقرير أعدّته "منظمة هيومن رايتس ووتش" (https://www.hrw.org/ar/report/2013/10/11/256480)، 11 أكتوبر/تشرين الأول 2013. وانظر أيضاً: تقرير توثيقي لمجازر "النصرة" في اللاذقية، العهد. (http://www.alahednews.com.lb/essaydetails.php?eid=81489&cid=76#.WJ30l28rLcs)، 8 آب 2013.

[29]- مجازر "داعش" و "النصرة" ضد المسيحيين في سوريا... تفجير كنائس وذبح عشرات المسيحيين في قراهم، 30 تشرين الأول 2013.

[30]- انظر: "النصرة" تجتاح "عدرا العمالية" وترتكب مجزرة بالمدنيين، الأخبار، 12 كانون الأول 2013.

[31]- انظر: دروز "قلب لوزة" يروون لـ "المدن" تفاصيل مجزرة التونسي، المدن، 12 حزيران 2015.

[32]- انظر: مجزرة في ريف اللاذقيّة الشماليّ في تشرين الأول 2013، روسيا اليوم، 12 أيّار 2016.

ونفّذت جبهة النصرة عمليّات تطهير عرقي وديني، وقامت بعمليّات خطف، واحتجاز رهائن، واستيلاء على ممتلكات، على امتداد المحافظات السوريّة، لمدنيّين سوريّين، من رجال دين ونساء وأطفال. وتظهر عشرات مقاطع الفيديو المجازر البشعة التي ارتكبتها النصرة، ومنها بحقّ أطفال. ويفيد التقرير العالمي لمنظمة هيومن رايتس ووتش الخاص بسوريا "أنّ الجماعات الإسلامية المتطرفة مثل جبهة النصرة وداعش انتهاكات مستمرة لحقوق الإنسان، بما فيها الخطف والاستهداف المتعمد للمدنيين"[33].

النصرة وعمليّات خطف الرّهائن

شاركت النصرة في عدد من حالات خطف الرّهائن الرفيعة المستوى. ففي كانون أول 2013، أسرت مجموعة من الرّاهبات رهائن من دير معلولا، وأطلقت سراحهنّ في آذار 2014، بعد أن تولّى مسؤولون من قطر ولبنان التّفاوض على تبادل الأسرى مع الحكومة السوريّة. وفي آب 2014، أطلقت النصرة الصحافي الأميركيّ "بيتر ثيو كورتيس" الذي كان رهينة لديها منذ عام 2012. وجاء الإفراج في غضون أقلّ من أسبوع من تقديم داعش للأخبار العالميّة فيديو ذبح للصحفيّ الأميركيّ جيمس فولي، وسهّلت قطر الافراج عن "كورتيس"[34]. وفي الشهر نفسه، نشرت المجموعة في شريط الفيديو بالتّعاون مع داعش، بعثت من خلاله رسالة تهديد بأنّها ستقتل وحدة من الجنود اللبنانيّين الذين احتجزتهم إذا لم ينسحب حزب الله من سوريا. وفي أول تطوّر لافت، أعلن عنه رسميّاً، عقدت النصرة في شهر تشرين الثاني 2014 صفقة تبادل أسرى مع حزب الله، قضت بإطلاق أحد عناصر الحزب الذي كان قد أسر خلال مواجهات مع الجبهة في المنطقة الحدوديّة مع سوريا، مقابل اثنين من عناصرها[35]. وقتلت النصرة أربعة من هؤلاء الرّهائن خلال عام 2014[36]، وهدّدت في يوم الأربعاء 3 كانون الأول 2014، عبر بيان نشرته على مواقع التواصل الاجتماعي "تويتر" أعلنت فيه أن الجنود اللبنانيّين هم "أسرى حرب، ولن نكتفي بمقتل حميّة أو بزّال أو قتل العسكريّين كلّهم، بل إنّنا سننتقم لكلّ عرض انتهك أو طفل ذبح أو شرّد (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) (الزخرف 76)"[37].

وفي صيف عام 2015 تواصلت المفاوضات بين لبنان والنصرة لتحرير بقيّة الرّهائن، انتهت بإفراج النصرة عن 16 جنديّاً مختطفين لديها، ذكر بيان الأمن العام اللبنانيّ "أنّ ثلاثة من المفرج عنهم هم من عناصر الجيش اللبنانيّ و13 من قوى الأمن الداخليّ" وبقي 9 آخرين بيد "داعش". وفي يوم لأحد 31 آب عام 2014، خطفت النصرة نحو

---

[33]– التقرير العالمي 2016: سوريا، مرجع سابق.

[34]– قالت صحيفة "ديلي ميل" البريطانية أن ممثلين عن منظمة الأمم المتحدة قد تسلموا الصحفي "بيتر ثيو كرتس" بعد أن أطلق سراحه بوساطة قطرية. وأشارت الصحيفة إلى أنه تم إطلاق سراح الصحفي الأحد بعد اختطافه من أنطاكيا بتركيا، حيث كان قد وصل إلى هناك تمهيداً لدخول سوريا في أكتوبر 2012 ... ويشار إلى أنّ قناة (المخابرات القطريّة) "الجزيرة" هي أوّل من أعلن خبر الإفراج عن الصحفي الأميركي، لافتة إلى أنّ قطر ساهمت في إطلاق سراحه، وأضافت أنّه كان فقد قرب الحدود بين تركيا وسوريا في خريف 2012. انظر: موقع البوصلة (http://www.albosleh.com/)، جبهة النصرة تفرج عن (بيتر ثيو كرتس) بوساطة قطرية وتنقله إلى إسرائيل، 26 آب 2014.

[35]– الشرق الأوسط، حزب الله ينجز "صفقة تبادل" مع جبهة النصرة لإطلاق سراح أحد عناصره، الأربعاء 26 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014.

[36]– يوم الجمعة في 19 أيلول 2014 أعلن قيادي في "جبهة النصرة"، مساء الجمعة، في تصريحات لوكالة "الأناضول"، أن الجبهة أعدمت الجندي اللبناني الأسير محمد حمية رمياً بالرصاص في الرأس وإلى جانبه الجندي المخطوف علي البزّال وهو يناشد أهله، وهي العمليّة الأولى التي تنفّذها "جبهة النصرة" التي كانت تحتجز هي و "داعش" أكثر من 12 جنديّاً لبنانيّاً أسرى. وفي مساء يوم الجمعة كانون الأول 2014 أعلنت جبهة النصرة، عن قتلها للجندي علي البزّال.

[37]– CNN بالعربي، النصرة تتوعد الحكومة اللبنانية: اثبتم ضعفكم باعتقال النساء والاطفال والخبر ما ترون لا ما تسمعون، 3 كانون الأول 2014.

45 جنديّاً من قوّات حفظ السّلام التّابعة للأمم المتّحدة الفيجيّة على الحدود السوريّة - الفلسطينيّة، بحجّة أنّ قوّات حفظ السلام يساعدون قوّات الرئيس الأسد، لكنّها بعد أسبوعين عادت وأفرجت عنهم[38].

ويوم الثلاثاء 28 أيلول 2016 أعلنت جبهة فتح الشام / "جبهة النصرة سابقاً" في بيانٍ نشرته على موقعها الخاص على موقع التّواصل الاجتماعي "تويتر" عن تحريرها للصحفية الألمانيّة "يانينا فينديسن" التي كانت الجبهة متّهمة باختطافها، من قبضة مجموعة وصفتها بـ "صغيرة"، مشيرةً إلى أنّ الصحفيّة الألمانيّة كانت حامل بوليدها الذي أنجبته في سجنها لدى الفصيل الذي لم تحدّد اسمه. وأضافت "عُقدت محكمة شرعيّة، وثبت أنّ الصحفيّة دخلت إلى المنطقة بعهد أمان من امرأة ألمانيّة مسلمة، تقيم هناك، فتمّ إطلاق سراحها الأربعاء، مع وليدها". وسلّمت الصحفيّة إلى السلطات التركيّة تمهيداً، وذلك في خطوةٍ اعتبرها المراقبون بأنّها محاولة من الجبهة لإرسال رسائل إيجابيّة عنها للغرب. هذا، وكانت "جبهة النصرة سابقاً"، اتُّهمت باختطافها الصحفية الألمانيّة؛ وذلك في مناطق سيطرتها شمالي سوريا، قبل 10 أشهر[39].

بنية النصرة التّنظيميّة

تمتاز النصرة ببنية تنظيميّة متماسكة وقويّة، نسبيّاً، نظراً للإجراءات المشدّدة في قبول العناصر، والمفاهيم الدينيّة ذات البعد السلفيّ المتشدّد، والقدرات الماليّة والتسليحيّة العالية، مقارنة بغيرها من الفصائل المسلّحة في سوريا، ما يجعلها الفصيل الأقوى والأقدر. ومع ذلك، فالنصرة، تعاني من منافسة شديدة من إيديولوجيا مماثلة من قبل تنظيم داعش، وتعدّ رأس حربة في غالبيّة المواجهات مع النّظام، وأحياناً، مع فصائل أخرى منافسة، مضافاً إلى التّباعد الجغرافيّ في المواقع، والتّنافس، أحياناً، بين أمراء المناطق وقادتها على مواقع النّفوذ، وتحدّيات النّقص في التّمويل والتّسليح التي قد تعاني منها في بعض المواقع، وتحديّ الانفصال عن القاعدة، والتّصفيات التي تلاحق قادتها وعناصرها، ما يجعلها عرضة للاستنزاف أو الانشقاق والتفكّك لصالح تنظيم داعش غالباً.

إنّ إعلان البغداديّ إنشاء "الدولة الإسلاميّة" على مساحة جغرافيّة كبيرة جداً، غنيّة بالثروات النفطيّة والمائيّة الحيويّة، جعل منها المنافس الأقوى والأبرز للنصرة، حيث يتطلّع الشباب المتشرّب بالأيديولوجيا السلفيّة القتاليّة ـ ضمن ما يحمله من مفاهيم ـ إلى الالتحاق بدار الإسلام، والعيش في ظلّ حكومة، تسودها الشّريعة، وتتوفّر له سبل العيش و"الكرامة" و"الاقتدار"، وقد منح تنظيم الدولة أفضليّة على النصرة لجهة استقطاب الجيل الشّاب المتشرّب بمفاهيم التكفير والمتحفّز للقتال.

لقد أثّر رفض الجولانيّ مجاراة البغداديّ في الانضمام إلى "الدّولة الإسلاميّة" على خيارات الكثير من مقاتلي النصرة، والمتطلّعين إلى "الدّولة الإسلاميّة"، وهذا ما دفع بالكثيرين منهم للالتحاق بالدّولة، ومبايعة البغداديّ، وخاصّة بعد وضع البغداديّ النصرة وزعيمها موضع التّهمة بالارتداد والنكث ببيعة الولاية للأمير الشرعيّ، وقد "أدّى

---

[38]– أوردت قناة الجزيرة الفضائية يوم الخميس إن جبهة النصرة أطلقت سراح أفراد من قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة كانت قد أسرتهم قبل أسبوعين في مرتفعات الجولان. وجميع الجنود المحتجزين يحملون جنسية دولة (فيجي). وكانت جبهة النصرة قد تبنت خطف 44 جندي من القوات الدولية لفك الاشتباك بين سورية وإسرائيل في الجولان, وأصدرت حينها بياناً أقرت فيه باحتجازهم "رداً على جرائم وتواطؤ الأمم المتحدة بحق السوريين". وأكدت أن الجنود "في مكان آمن وفي حالة صحية جيدة ويقدَّم لهم ما يحتاجونه من طعام وعلاج وفق تعاليم الدين الإسلامي الذي يحث على الإحسان للأسرى". انظر: موقع أورينت، جبهة النصرة تطلق سراح جنود الأمم المتحدة في القنيطرة، 10 أيلول 2014.

[39]– انظر: فتح الشام تُحرّر صحفية ألمانية من الاختطاف، http://www.zaitonmag.com/، 2016/09/29.

هذا التحوّل اللحظي إلى ظهور داعش في حلب بين ليلة وضحاها"، ففي بدايات تلك الفترة، انضمّ "مجلس شورى المجاهدين" إلى داعش بقيادة أميره عمرو العبسي، ولقبه "أبو الأثير"، وهو سوريّ من ريف إدلب، ليُعيّن العبسي والياً على حلب من قبل داعش[40].

ويوجز بعض المراقبين تبعات الانقسام ميدانياً بالآتي[41]:

- تراجع حضور جبهة النصرة في حلب المدينة، باستثناء بعض المواقع في بستان القصر، ومحيط سجن حلب المركزي، ويكاد ينعدم في الريف الحلبي بعد أن استولى أنصار البغداديّ على جميع مقرّات الجبهة ومكاتبها، وطردوا من بقي تحت راية الجبهة. وعلى الفور، أعلن تنظيم الدّولة عن إلحاق المناطق والمدن التي سيطر عليها بالإمارة الإسلاميّة، وأجبر النّاس والكتائب على مبايعة البغداديّ أميراً عليهم.
- ورث تنظيم الدّولة جبهة النصرة بشكل كامل في مدينة الرقّة، ولم يبق للنصرة أيّ وجود فيها.
- استطاعت جبهة النصرة أن تحافظ على وجودها وحضورها في ريف إدلب؛ بسبب الحماية التي وفّرتها لها حركة أحرار الشّام، والتي منعت أنصار البغداديّ من تكرار ما حصل في حلب من اقتحام للمقرّات والمعسكرات وإجبار منتسبي النصرة على الانضمام للتنظيم الجديد.
- انقسمت النصرة بحدّة في دير الزور، وقد أدّى وقوف المسؤول الشرعيّ للنصرة "أبو ماريّة العراقيّ" (الموجود في المدينة) مع الجولانيّ إلى منع تلاشي جبهة النصرة لصالح البغداديّ. أمّا في الريف، وبخاصّة في مدينتي الميادين والبوكمال القريبتين من العراق، فتنظيم الدّولة هو الأكثر حضوراً في تلك المناطق.
- أنصار البغداديّ في اللاذقية هم الأغلبيّة، وقد تراجع حضور جبهة النصرة هناك.
- لا تزال النصرة موجودة في دمشق وريفها؛ لأنّ أميرها "الشيخ أبو سمير" رجع عن بيعته للبغداديّ، وبايع الجبهة من جديد.
- في حوران انضمّ قسم من أعضاء الجبهة إلى البغداديّ، وانسحبوا من حوران إلى مناطق الشمال لدعم تنظيم الدّولة، ولا تزال النصرة تحتفظ بتنظيم قويّ هناك، يقوده أبو أنس الحورانيّ.

ومن جهة أخرى، شكّل قرار النصرة انفصالها عن القاعدة المركزيّة إلى حدوث انشقاقات داخليّة، فبعد أقلّ من شهر على إعلان الجبهة لفكّ ارتباطها بتنظيم القاعدة، وتبديل اسمها من "جبهة النصرة" إلى "فتح الشام"، أعلن بعض أبرز قياداتها ذوي الجنسيّة الأردنيّة الانفصال عن التنظيم، بعد أربع سنوات من العمل، "وهم إياد الطوباسيّ والملقّب بـ"أبو جليبيب الأردنيّ"، وبلال خريسات والملقّب بـ"أبو خديجة الأردنيّ"، وهما من مؤسّسي "جبهة النصرة"[42]،

---

[40]- عارف حاج يوسف، خريطة الفصائل المسلحة في حلب، الجمهورية http://aljumhuriya.net/، 6 آذار 2015.

[41]- حمزة مصطفى المصطفى، جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الانقسام، سلسلة (دراسات سياسات عربية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 5، تشرين الثاني/نوفمبر 2013 ، ص 22 وما بعدها.

[42]- يعتبر أبو جليبيب الأردني من أبرز مؤسسي فرع تنظيم القاعدة في سوريا (جبهة النصرة)، وشغل فيها منصب عضو مجلس شورى، وأمير محافظة درعا، ثم أمير منطقة الساحل قبل أن تبدل اسمها إلى "فتح الشام"، في حين عمل "أبو خديجة الأردني" كعضو في المجلس الشرعي، ثم مسؤول عن الأمنيين، وشرعي في الغوطة الشرقية، وإدلب. أنظر: (شخصيات قيادية بارزة تنفصل عن "جبهة فتح الشام" وتوضح الأسباب، الدرر الشامية الثلاثاء 23 أغسطس 2016).

وقال إياد الطوباسيّ إنّه "انفكّ عن فتح الشام، وقطع علاقته بها تنظيميّاً وعضويّاً"؛ وعزا ذلك إلى رفضه فكرة فكّ ارتباط الجبهة عن تنظيم القاعدة، مضيفاً عبر حسابه على موقع تويتر: "وقد علم الجميع وضوح موقفي من قضيّة فكّ الارتباط بالجماعة الأمّ، وهو الرّفض التامّ والقاطع، إلّا أنّ ظهور المشاريع الجديدة، والتّسارع فيها، ألزمني بتحديد موقفي من جبهة فتح الشام بشكل واضح وبيّن". وتابع قائلًا: "وإنّي ومن هذا المنبر الكريم أبيّن موقفي من جبهة فتح الشام، وهو الانفصال التّام، وقطع كلّ الرّوابط التنظيميّة والعضويّة معها، مؤكّداً تجديد بيعتي لأمير تنظيم القاعدة، أيمن الظواهريّ"[43].

ولا شكّ في أنّ النصرة تعيش اليوم مخاضاً عسيراً للحفاظ على وجودها، والحفاظ على بنيتها التّنظيميّة، في ظلّ ما تشهده من تحدّيات داخليّة، جرّاء انفكاكها عن القاعدة، والتهديد الأيديولوجيّ من جانب تنظيم الدّولة، والخسائر الكبيرة التي لحقت بها في حلب، باستعادة الجيش السيطرة على المدينة في مطلع العام 2016، واستعدادات الجيش وحلفاؤه لنقل المعركة في مرحلة مقبلة إلى إدلب المعقل الرئيسيّ لها.

البنية القتاليّة

تمتاز النصرة بامتلاك عناصرها قدرات ومهارات قتاليّة عالية، فهم مدرّبون تدريباً جيداً، ويعملون وفق قواعد عسكريّة مهنيّة، وينطلقون من بنى اعتقاديّة متزمّتة، تدفعهم إلى المواجهة والثّبات والقيام بأنشطة وأعمال قتاليّة خاصّة، كتلك المتعلّقة باقتحام المواقع، وتحمّل الخسائر، وتفجير النّفس في الطّرف المعادي، وما أشبه ذلك.

كان الظهور الأوّل لمقاتلي النصرة في حلب في حيّ الميسّر في تموز 2012، وكان هذا الحيّ على خطّ الجبهة في تلك الفترة. سُرعان ما أصبح مقاتلو النصرة من أشرس مقاتلي حلب، وكانوا من أوائل المقاتلين الذين اقتحموا ثكنة هنانو العسكريّة في السابع من أيلول 2012، حيث اغتنموا عدداً كبيراً من الأسلحة والذخائر والسيّارات العسكريّة، قبل أن يستعيد النّظام الثكنة[44].

ونجحت النصرة نسبيّاً في ساحة المعركة، في وقت مبكر، في الحصول على تقدير ودعم العديد من الجماعات المتمرّدة، بما في ذلك العديد من الجماعات ذات الميول العلمانيّة، ومنهم قادة وعناصر في الجيش السوريّ الحرّ. ومع ذلك، على الرغم من أنّها حاولت تقديم صورة إيجابيّة لدى الرأي العام الدّوليّ والمحلّيّ، والتقرّب إلى الأوساط الشعبيّة في سوريا، من خلال تجنّب تكتيكات مسيئة لصورتها، مثل الإعدامات الوحشيّة والهجمات الطائفيّة، فإنّها أخفقت في إرساء هذه الصورة وترسيخها، ذاك أنّها نشأت في بداية الصّراع في سوريا، كمعارضة، من خلال فرض قوانين دينيّة في المناطق التي تسيطر عليها، وأيضاً، كانت أوّل قوّة سوريّة تعلن مسؤوليّتها عن الهجمات الإرهابيّة الانتحاريّة التي قتلت المدنيّين في العام 2012، وبحلول حزيران 2013 ادّعت النصرة قيامها بسبعة وخمسين هجوماً انتحاريّاً.

---

[43]– الديار، "فتح الشام" على حافة الهاوية.. انفصال القيادات يشق صف التنظيم.. خبراء: الانشقاقات هدف استراتيجي.. اختلاف المصالح الشخصية والبحث عن زعامات تعصف بحليف "القاعدة"، الديار 27 آب 2016.

[44]– عارف حاج يوسف، خريطة الفصائل المسلحة في حلب، الجمهورية ، 6 آذار 2015. (http://aljumhuriya.net/)

الانضمام إلى النصرة

إنّ التقدير العالي الذي لقيته جبهة النصرة جرّاء عمليّاتها النوعيّة ضدّ النّظام، والإنجازات الكثيرة التي حقّقتها، وإمكاناتها، الماليّة والعسكريّة، والدّعم الواسع الذي لقيته من جانب قوى، محليّة وإقليميّة، ترك أثراً كبيراً في نفوس الشبّان السوريّين المتمرّدين على النّظام المتحمّسين تجاه قضيّة إسقاط النّظام وحمل السلاح للمساهمة في تحقيق ذلك، ودفعهم للالتحاق بالنصرة، باعتبارها الجماعة الأقوى، بعد تنظيم "داعش"، وعلى سبيل المثال، فإنّ "تصاعُد الخطّ البيانيّ لعمليّات جبهة النصرة، وشراسة الحرب التي شنّتها ضد قوّات النّظام، دفع الكثير من الشباب الحلبيّين إلى ترك ألويّتهم في الجيش الحرّ أو الكتائب الاسلاميّة الأخرى، والانضمام إلى جبهة النصرة، حيثُ كانت النصرة توفّر لهم تعويضاً ماديّاً جيّداً، بالمقارنة مع ما كانت تقدّمه غيرها من الفصائل. سببٌ آخر دفع شباباً حلبيّين كثر للانضمام إلى جبهة النصرة هو عدم انقطاع الدّعم العسكري عنها، فلدى النصرة مخزون كبير من الأسلحة والذخيرة، يكفي لقتال النّظام شهوراً عدّة، دون انتظار الدّعم والتمويل"[45].

وافتتحت جبهة النصرة في العام 2016 عشرة فروع للرّاغبين بالانضمام لصفوفها في مدينة إدلب وريفها، ضمّت الفروع عدّة بلدات في ريف إدلب، الغربيّ الشماليّ، بالإضافة إلى بعض الأفرع التي تمّ افتتاحها سابقاً.

ووفقاً لما نقل عن "أبو البراء"، مسؤول فرع الانتساب بسرمدا، "هذه الخطوة أولاً من أجل تعليم الشباب تعاليم الدّين الحنيف؛ لأنّهم ابتعدوا عن شرع الله، ثانياً، نحاول تجنيد عدد من الشّباب من أجل محاربة النّظام وأتباعه من الصفويّين الذين استباحوا أرضنا وعرضنا"[46].

لكنّ الانضمام لجبهة النصرة لم يكن سهلاً ولا مباشراً، بل كانت له شروط، فعلى الرّاغب بالانضمام أن يجتاز "الدّورات الشرعيّة" التي يقيمها شرعّيو النصرة وشيوخها، وهي عبارة عن دروس دينيّة في السلفيّة الجهاديّة، الإيديولوجيا التي تبنّتها جبهة النصرة منذ اليوم الأول"[47].

وتتضارب الأرقام الخاصّة بتعداد مقاتلي النصرة، وتتفاوت بحسب المصادر بين 6 آلاف و 12 ألف مقاتل، باستثناء المقاتلين العرب والأجانب.

المقاتلون الأجانب

باستثناء ما ذكره زعيم النصرة أبو محمد الجولانيّ في مقابلته مع قناة الجزيرة الفضائيّة يوم الأربعاء 27 أيار 2015 ضمن برنامج "بلا حدود" من أنّ "ما يقارب 30 بالمائة من مقاتلي الجبهة" من كلّ العالم .. يوجد أوروبيّون، وأميركان عدد قليل، وآسيويّون يوجد كثير، ويوجد روس من الشيشان"[48]، فإنّه لا أرقام واضحة حول عدد المقاتلين الأجانب الذين التحقوا بجبهة النصرة، كما هو الحال بالنسبة لسائر الفصائل القتالية الأخرى في سوريا. ووفقاً لتوماس هيغهامر، مدير أبحاث الإرهاب، في مؤسسة أبحاث الدفاع النرويجيّة، في الآونة الأخيرة ذهب الكثيرون إلى

---

[45] – Mapping Militant Organizations. Jabhat al-Nusra.
https://web.stanford.edu/group/mappingmilitants/cgi-bin/groups/view/493.

[46] – شيرو درويش، جبهة النصرة تفتتح عشرة مكاتب لتجنيد الشباب في إدلب وريفها، ARA News، 6 تموز 2016.

[47] – عارف حاج يوسف، خريطة الفصائل المسلحة في حلب، مرجع سابق.

[48] – انظر: الجولاني: حزب الله زائل.. ولدينا ثأر مع العلويّين، الجزيرة، 28 أيار 2015.

القتال في أفغانستان وباكستان والعراق واليمن والصومال، لكنّ أعداد من سافروا إلى سوريا الآن تمثّل "أكبر حشد من المقاتلين الإسلاميّين الأجانب في التاريخ"[49]. ووفقاً لهارون ي. زيلين، وهو زميل ريتشارد بورو في برنامج ستاين للاستخبارات ومكافحة الإرهاب في معهد واشنطن، فقد أوردت التّقارير أنّ المقاتلين الأجانب في سوريا يشملون عرب (لبنانيّين، عراقيّين، أردنيّين، فلسطينيّين، كويتيّين، تونسيّين، ليبيّين، جزائريّين، مصريّين، سعوديّين، سودانيّين ويمنيّين)، إضافة إلى أعداد أخرى من المسلمين، بما في ذلك من جنوب ووسط آسيا (أفغان، بنغاليّين وباكستانيّين) وغربيّين (بلجيكيّين، بريطانيّين، فرنسيّين وأميركيّين). ويبدوا أنّ أكبر الوحدات ـ يتراوح عددها ما بين 500 و900 مقاتل ـ قد أتت من الدّول المجاورة لسوريا: وهم على وجه التّحديد لبنانيّون وعراقيّون وفلسطينيّون وأردنيّون، قام العديد منهم بمحاربة قوّات الولايات المتّحدة في العراق في وقت سابق. أمّا ثاني أكبر الوحدات، فتأتي من شمال أفريقيا، وهم ما يقرب من 75 إلى 300 مقاتل من ليبيا وتونس والجزائر. ووفقاً لتقارير وسائل الإعلام فإنّ معظم هؤلاء الأفراد قد دخلوا سوريا عن طريق لبنان أو تركيا، بينما تسلّلت أعداد أقلّ عبر العراق والأردن"[50].

وتؤكّد بعض التقديرات أنّ هناك أكثر من 20 ألف مقاتل أجنبي دخلوا إلى سوريا، كما أظهرت دراسة للكونغرس الأميركيّ أنّ قرابة 30 ألف شخص تركوا بلادهم للانضمام إلى إسلاميّين متشدّدين، يقاتلون في سوريا والعراق، معظمهم مع تنظيم "الدّولة الاسلاميّة" (داعش)[51]. ووفقاً لتقديرات المركز الدولي لدراسة التطرّف والعنف السياسيّ (ICSR) في العام 2015، فإنّ رقم 20 ألفاً هو الأقرب للحقيقة، وهو الرقم الذي توصّل إليه المركز من خلال متابعة تقارير وسائل الإعلام وغيرها من المعلومات المتاحة للجمهور. وقال هيغهامر، الذي يستخدم نفس الأساليب في مثل هذه التقديرات: "قد يكون ذلك على سبيل المثال بداية من إعلان من الأمم المتحدة بأنّ العدد الإجمالي هو 15 ألفاً أو 20 ألفاً، وصولاً إلى تصريح لعمدة في بلدة جنوبي فرنسا بمغادرة 22 شخصاً خلال الأشهر الثلاثة الماضية، وأيّ (إعلان أو تصريح) آخر بين كلا المستويين من الأرقام"[52].

وبصرف النّظر عن الأرقام الدقيقة للمقاتلين الأجانب، فإنّ من المعلوم أنّ تنظيم النصرة هو من الفصائل السلفيّة المتشدّدة التي تجذب أمثال هؤلاء المقاتلين أكثر من سواها من التنظيمات والجماعات المتمرّدة الأخرى في سوريا ووفقاً لأحد القيادات التيّار السلفيّ البارزين في الأردن (منيف سمارة)، فإنّ "الشريان المغذّي للنصرة بعد السوريّين، هم الأردنيّون، يليهم الخليجيّون، ثم العراقيّون والمغاربة". ويقدر خبير الجماعات السلفيّة حسن أبو هنيّة عدد السوريّين في صفوف الجبهة اليوم بنحو 1500 مقاتل، من مجموع مقاتليها البالغ نحو 4 آلاف"[53].

---

[49]– انظر: كم عدد المقاتلين الأجانب الذين ذهبوا إلى القتال في سوريا؟، bbc عربي، 2 آب 2015.

[50]– هارون ي. زيلين، المقاتلون الأجانب يتسللون للانضمام إلى الثورة السورية، معهد واشنطن، 11 حزيران 2012.

[51]– محمد نمر، المهاجرون في سوريا بين القتل والترحيل... "أحرار الشام" لـ"النهار": تجنيسهم طبيعي، النهار،7 تشرين الأول 2015.

[52]– انظر: كم عدد المقاتلين الأجانب الذين ذهبوا إلى القتال في سوريا؟، bbc عربي، المرجع السابق.

[53]– انظر: المقاتلون الأجانب في سوريا، حقائق وأرقام، بيروت برس، 9 أيلول 2015. وبحسب المصدر، فإنّ "القسم العربي، وهو نوعان من المقاتلين العرب: خليجي ومغاربي، قسم قاتل في مناطق، مثل العراق وأفغانستان والشيشان وليبيا، وقسم كانت التجربة السورية بداية له. ويُعتمد على القسم الأول كون أصحابه يملكون خبرة واسعة، وتجارب يعتمد عليها في القيادة الشرعية والعسكرية. أما القسم الثاني، فهو الأكثر ميدانية، وينشط في المعارك والجبهات الساخنة بعد أن يكون أفراده التحقوا بمعسكرات التدريب على الحدود التركية أو في المناطق الداخلية "المحررة". كما يعتمد على القسم الثاني المغمور نوعاً ما في العمليات الانتحارية، وغالبيتهم من المغرب العربي والسعودية والكويت والأردن وليبيا وتونس التي تدفق منها الكثير من أنصار التيار السلفي الجهادي. أما القسم الأجنبي، فهو الأقل ظهوراً للعامة، ولكن وجوده ليس قليلاً داخل تلك التيارات، وخصوصاً جبهة النصرة في الوقت الحالي. فبحسب وزير الداخلية الفرنسي، "مانويل فالس"، هناك أكثر من 600 أوروبي مرتبطين بتنظيم القاعدة، يقاتلون ضد النظام السوري، ويضيف إنّ قائمة الجهاديين الأوروبيين في سوريا تضم مئة وعشرين فرنسياً. من ناحيتها، أشارت صحيفة "لوفيغارو" الفرنسية في وقت سابق، أنّ سوريا استقطبت

ومنذ اليوم الأول، ضمّت النصرة في صفوفها عدداً كبيراً من المقاتلين الأجانب المدرّبين، الذين خاضوا تجاربهم القتاليّة في العديد من البلدان قبل القدوم إلى سوريا. وبحسب بعض الدراسات، فإنّ "معظم هؤلاء المقاتلين يأتون من الشّرق الأوسط، ولكن أيضاً من الشيشان والدّول الأوروبيّة، مع عدد أقلّ من البلدان الأكثر بعداً، مثل أستراليا والولايات المتّحدة. وعلى سبيل المثال، في 23 أيلول 2015 "أعلن "جيش المهاجرين والأنصار" الذي يقاتل في سوريا، مبايعته لجبهة النصرة، ... ما شكّل وفق رأي محلّلين دفعة قوية للنصرة المبايعة لتنظيم القاعدة في معاركها ضدّ تنظيم داعش، إذ بلغ عدد العناصر الذين انضمّوا إلى النصرة إثر هذه العمليّة نحو 1500 مقاتل، غالبيّتهم من جنسيّات أجنبيّة، معظمهم من "الشيشان وأوزباكستان وتركستان وطاجاكستان"، وتعتبر اللغة الروسية ذات انتشار واسع بين جميع هؤلاء المقاتلين؛ إذ يتبع "جيش المهاجرين والأنصار" أساساً لما يسمى "إمارة القوقاز الإسلاميّة"، وفق ما ذكرت عدّة مصادر إعلاميّة. وإضافة لـ"جيش المهاجرين والأنصار"، فقد أعلنت عدّة فصائل، غالبيّة عناصرها مهاجرون من منطقة "القوقاز" مبايعتها لـ"جبهة النصرة" ... من بينها كتيبة "التوحيد" و"الجهاد" التي تضمّ مقاتلين من طاجيكستان، وجماعة القرم الشيشانيّة، وكتيبة "القدس"، و"سرايا الميعاد"، إضافة إلى مجموعة من المقاتلين الشيشانيّين، ويُعتقد أنّ هدف هذه التشكيلات الأساسيّ هو قتال القوّات الروسية بالدرجة الأولى، نظراً لوجود ثأرٍ سابق معهم، كما أنّ المقاتلين القادمين من منطقة تركستان، يرون أنّ روسيا هي حليف قويّ لعدوّهم الأوّل المتمثّل بالحكومة الصينيّة، فيما يشير البعض أنّ كثيراً من هؤلاء المقاتلين لم يعودوا مهتمّين بقتال نظام الأسد وتنظيم داعش بعد أن تدخّلت روسيا مباشرة في الصّراع السوريّ"[54].

الموارد الماليّة

تعدّ النصرة من الجماعات المسلّحة الأفضل تجهيزاً في سوريا. وممّا لا شكّ فيه أنّها كانت تعتمد، في بداية نشوئها، في جزء كبير من مواردها "وتحظى بتمويل جيد غالباً من التنظيم الإسلاميّ الجهاديّ الدوليّ"[55]، وعلى الجهات المانحة التي تدعم القاعدة؛ إذ "لا يمكن لأيّ تنظيم سياسيّ عسكريّ أن يستمرّ بدون مصادر ذاتيّة وخارجيّة للتّمويل

فرنسيين مقاتلين أكثر مما استقطبته حرب أفغانستان والبوسنة، وليست فرنسا وحدها مصدر المقاتلين في سوريا، ولكن بريطانيا وإيرلندا وهولندا والشيشان وداغستان، من أكثر الدول التي ترسل مقاتلين إلى سوريا. لمقاتلون من مناطق القوقاز لهم النصيب الأكبر من الحظوة، ولهم سمعة قوية في العمل العسكري. الحديث عن عملياتهم يحتل حيزاً من حديث المقاتلين الإسلاميين. ولكن القوقازيين أقل الناس ظهوراً، على الأقل في منطقة ريف إدلب الشرقي. ويكثر وجودهم في منطقة ريف حلب الغربي، أي في منطقة أعزاز والمناطق المجاورة، وداخل حلب حيث يبرع هؤلاء المقاتلون في حرب الشوارع والقنص.

[54]– عبيدة النبواني، المقاتلون الأجانب في "جبهة النصرة" .. تشكيلات وأجندات، أخبار الآن، 21 كانون الثاني 2016.

[55]– رضا محمد العراقي، "جبهة النصرة".. لماذا حظيت بتمويل أعلى من التنظيم الإسلامي الجهادي الدولي؟، جريدة الشعب الجديد، (د.ت). (http://www.elshaab.org/news/61371/)، 22 أيار 2013.

والدّعم[56]. والمراقب للمشهد السوريّ وتفاصيله على مدار الأعوام السياسيّة يرصد زوال وانفضاض عقد كثير من الكيانات السياسيّة والعسكريّة نتيجة ضعف التّمويل وشحّ الموارد"[57].

وقد مرّ أنّ النصرة، قبل انفصالها وصراعها مع تنظيم "الدّولة الإسلاميّة" في العراق، كانت تستفيد من نصف ميزانيّة الدّولة التشغيليّة، ولكنّها، مع الوقت لاحقاً، أخذت في الاعتماد على التّمويل الذّاتي، من خلال السيطرة على المواقع والمؤسّسات التي تعدّ مصادر تمويل أساسيّة، كالنّفط والمصانع والمؤسّسات الإنتاجيّة والخدميّة والحقول الزراعيّة، والمعابر الحدوديّة، إضافة إلى الحصول على فدية مقابل الرّهائن والمخطوفين، وكذلك المنشآت والمعدّات والآليّات العسكريّة التي تمكّنت من السيطرة عليها، حيث سيطرت "على عدد كبير من المراكز الحيويّة، مثل صوامع القمح بالقرب من الباب، والتي كانت تحتوي على مخزون حيويّ ضخم من القمح، يكفي لإطعام حلب لسنتين، وصوامع الحبوب ومحالج القطن ومعمل الجرّارات في منطقة دويرينة في الريف الجنوبيّ، حيث كانت النصرة متواجدة وحيدةً على تلك الجبهة بالقرب من معامل الدّفاع في السفيرة. سيطرت جبهة النصرة أيضاً على آبار النفط في دير الزّور، قبل أن تخسرها لصالح داعش. لكنّ جزءاً كبيراً من تمويل الجبهة كان يأتي من العمليّات الخطرة التي كانت تقوم بها و تسيطر بعدها على مخزونات استراتيجيّة تابعة للنّظام، كأسلحة وذخائر وأموال، تغتنمها بعد الهجوم على المقرّات العسكريّة والسيطرة عليها. في الوقت ذاته، تحظى النصرة بدعم ماديّ كبير من بعض الدول الخليجيّة، وبخاصّة من دولة قطر[58]، مضافاً إلى ما تتلقّاه من الكثير من أثرياء سلفيين خليجيّين، يقيمون في الخليج أو خارجه، ويدعمون التيّار السلفيّ الجهاديّ[59].

كما لعب سلفيّو الكويت دوراً أساسيّاً في تمويل "جبهة النصرة"، وتقديم الدّعم لها، بعد خلافها مع داعش؛ وذلك عبر تشكل غرف عمليّات خاصّة بهذا الشأن، مقابل تزكية الداعمين الكويتيّين، ليشغلوا مناصب قياديّة، كـ "شرعيين" أو "أمراء" داخل النصرة. كان «مجلس الداعمين» الجهة الفعلية وراء تشكيل "غرفة عمليات دمشق" في أيلول 2013، وقد انطلقت في العام 2013 حملات تبرّع علنيّة في الكويت لتجهيز مقاتلي النصرة، كما في مثل "حملة الكويت الكبرى لتجهيز 12 ألف غازٍ إلى سوريا"، قبل أن يتمّ تلطيف اسم الحملة، عبر استبدال توصيف "غازٍ" بـ"مجاهد". وقد جمع القائمون على الحملة 8400000 دينار (حوالى 30 مليون دولار). وكان من أبرز مروّجي الحملة كلٌّ من النوّاب: وليد الطبطبائي، جمعان الحربش، مبارك الوعلان، فلاح الصواغ، بدر الداهوم، نايف المرداس وحمد المطر. إضافة إلى المشايخ: شافي العجمي، عبد العزيز الفضلي وحجاج العجمي[60].

---

[56]– في مقابلة زعيم النصرة أبو محمد الجولاني مع قناة الجزيرة الفضائيّة، ضمن برنامج "بلا حدود" يوم الأربعاء 27 أيار 2015، مرجع سابق، نفى "الجولاني" بشكل قاطع تلقي الجبهة أي دعم من دول أو منظمات أو أجهزة مخابرات، وشدد على أن الجبهة ترفض تماما تلقي أي دعم، لأنها تعلم جيدا أنه لا يوجد دعم غير مشروط. وقال "ننفق من الغنائم التي نأخذها من النظام. وأرض الشام أرض غنية ولسنا بحاجة لمن يتصدق علينا"، مؤكدا أن الجبهة لا تفتح المجال لتلقي الدعم ولا تقبل أن يعرض عليها من الأساس، لحرصها على أن تكون حرة في القرار والإرادة. وأضاف "نقبل فقط تبرعات فردية من عموم المسلمين. والمسلمون يحبون جبهة النصرة وتنظيم القاعدة، ونأمل منهم أن يساعدوا المجاهدين في بلاد الشام".

[57]– خبير يفصّل لـ "اقتصاد" مصادر تمويل "داعش" و "النُصرة" وتأثير قرار مجلس الأمن (1– 2)، مقابلة أجراها موقع زمان الوصل مع "حمزة المصطفى"، https://www.zamanalwsl.net/news/53069.html، 2 أيلول 2014.

[58]– انظر: داعش والنصرة دراسة مقارنة في الفكر التكفيري، وحدة الإسلام السياسي.. بوابة الحركات الإسلامية، 19 نيسان 2016.

[59]– عارف حاج يوسف، خريطة الفصائل المسلحة في حلب، مرجع سابق.

[60]– من "مجزرة حطلة" إلى "رعاية جبهة النصرة": مع تحيّات سلفيّي الكويت، الأخبار، 21 آذار 2014.

ولا يخفى الدّور الكبير الذي كانت تقوم به تركيا في دعم النصرة، على مدى الأعوام الأربعة الأولى من نشأتها، عسكرياً وسياسيّاً ولوجستيّاً، ولا سيّما تمرير الأسلحة الثّقيلة، وعبور النفط والمواد التّموينيّة عبر حدودها البريّة، وتسهيل عبور الشبّان القادمين من دول خارجيّة الملتحقين بالنصرة، وتوفير أماكن ومقرّات إقامة قياديّين من النصرة فيها أو استراحة[61]. ووفقاً لبعض المراقبين، "تحتضن الأراضي التركيّة عدداً من أمراء جبهة النصرة في الشرقيّة" ممّن هربوا إليها بعد سيطرة تنظيم "الدّولة الإسلاميّة في العراق والشام" و "داعش" على المنطقة، ويتفرّغ هؤلاء لإدارة أعمالهم وثرواتهم من دون أن يقطعوا علاقتهم "الجهاديّة" مع تنظيمهم الأم أو غيره، بينما افتتح البعض الآخر أعمالاً تجاريّة خاصّة به من الأموال التي جمعها نتيجة تجارة النّفط، وأحد أبرز هؤلاء هو المدعو أبو سعد الجرذي، الذي كان يتولّى منصب "مسئول النفط والمصافي" في "جبهة النصرة"، والذي تقدّر ثروته الشخصيّة بحوالي مئة مليون دولار، بالإضافة إلى أبي عبد الله إلكترون "أمير الخطّ الشرقيّ في دير الزور"، وآخر ملقّب باسم المجاهد الشاميّ "أمير الخطّ الغربيّ" والذي تجمعه علاقة قويّة بالجرذي، وأنّهم يتّخذون التّجارة والاستثمار عناوين وهميّة لإخفاء حقيقة نشاطهم المتمثّل بتأمين مصادر تمويل بديلة لـ"جبهة النصرة"، بعدما خسرت حقول النّفط، وما كانت تدرّه عليها من أموال طائلة[62]. لكنّ العلاقة التي تجمع تركيا بالنصرة ليست مستقرّة، فهي علاقة متأرجحة ومضطربة، بسبب تصادم المشاريع والأولويات بينهما، وترسيخ النصرة، منذ بداية نشأتها "معادلة مفادها أن تلقّي الدعم من أنقرة لا يعني القبول بعضوية الحظيرة التركية"[63].

وثمّة مصادر أخرى للنصرة، تجنيها ممّا تستفيده من دورها الإداريّ في المناطق الخاضعة لها، ففي دراسة استقصائيّة لموقع "الحلّ" السوريّ لكلفة الحرب في سوريا، من خلال حساب إنفاق القوى المقاتلة على الأرض، أجرى الموقع تحقيقاً ميدانيّاً غير مباشر عن الواقع الماليّ لجبهة النصرة، رغم التعتيم الذي يفرضه قادتها وعناصرها على بياناتهم، وتضارب التقديرات حوله؛ فحدّد التحقيق عدداً من المصادر في المناطق التي تخضع للجبهة، وفقاً لما يتداوله أناس يقيمون فيها:

1. **الضّرائب والأتاوات:** وتفرض الضّرائب والأتاوات في المناطق الخاضعة لسيطرتها بحجج "شرعيّة" في القائمة الأولى. وبحسب من أجرى التحقيق "رزق العبّي"، "أهمّها مثلاً فرض مبلغ 50 دولاراً أميركيّاً على كلّ محلّ تجاريّ، سواء كان صغيراً أم كبيراً، إذا لم يغلق أثناء الصلوات الخمس".
2. **المحروقات نصيب من يحملون السّلاح:** حيث "تفرض مبالغ ماليّة على إدخال بعض الموادّ من مناطق النّظام إلى المناطق المحرّرة، مثل الغاز والبنزين، وهذا أمر معروف للجميع".

---

[61]– ويؤكّد ذلك ما ورد في تصريح نائب رئيس الوزراء التركي الأسبق عبد اللطيف شنار (وهو من أهم مؤسسي حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا عام 2001 وشغل منصب نائب رئيس الوزراء وزير المالية حتى نهاية عام 2007)، حيث أكّد أنّ رئيس النظام التركي رجب طيب اردوغان لعب دوراً أساسياً في كلّ ما تعاني منه المنطقة من سفك للدماء والدمار، ووصفه بأنّه شيطان أخرس؛ لأنّه يتجاهل هذه المآسي والآلام ويسكت، وحمّل شنار خلال تصريحات لقناة الشعب التركية اردوغان مسؤوليّة الدّمار الذي لحق بسوريّة والعراق وليبيا بذريعة ما يسمّى الربيع العربي، والسّماح لعشرات الآلاف من الإرهابيّين الأجانب بدخول تركيا، ومنها إلى سوريّة للانضمام لتنظيمي داعش وجبهة النصرة الإرهابيّتين، وحوّل النّظام التركي منذ سنوات أراضي تركيا إلى مقرّ ومعبر للتنظيمات الإرهابيّة، وقدّم مختلف أنواع الدعم لها، بما فيها داعش وجبهة النصرة المدرجان على لائحة الإرهاب الدوليّة، كما قام بشراء النفط السوري المسروق من تنظيم داعش. انظر : شنار: أردوغان مسؤول عن الدمار في سورية والعراق وليبيا، موقع حزب البعث العربي الاشتراكي، 4 كانون الأول 2016.

[62]– عبد الله سليمان ،أمراء "جبهة النصرة" هاربون في تركيا، السفير، 11 تشرين الأول 2014.

[63]– عبد الله سليمان، تركيا و"النصرة" إلى "أبغض الحلال".. فهل سيسري في إدلب؟، 21 كانون الأول 2016.

3. **سيطرة على مقوّمات الحياة:** الاستيلاء على بنى تحتيّة، كالمطارات، وأنابيب النّفط والغاز، ومحطّات إنتاج الكهرباء، ومخازن ومحاصيل استراتيجيّة، كالقمح، والاستفادة منها في جعلها تجارة، تغطّي العديد من النّفقات الحربيّة.
4. **الحياة المعيشيّة لعناصر الجبهة:** فيما يخصّ الأفراد الوضع الماديّ أقلّ من عاديّ، ولكن تظهر الوفرة الماديّة لدى القيادات. يقول العبّي: "العناصر لا تتجاوز رواتبهم الـ150 دولاراً أميركيّاً، أمّا جهاز الحسبة، وهو الأهمّ، فتتجاوز رواتب عناصره الـ250 دولاراً للعنصر".

وقد أجرى الموقع المذكور حسبة افتراضيّة لمجموع الإنفاق على العناصر فقط، فتبيّن أنّه بالمتوسط "في حال كان عدد عناصرها 12 ألف عنصر على أساس راتب 150 دولار شهريّاً، فإنّ الجبهة تنفق شهريّاً حوالي مليون و 800 ألف دولار، ناهيك عن مرتّبات القادة والأمراء"[64].

ريوع النصرة النّفطيّة

إنّ المراقب لخارطة الصّراع بين تنظيمي "النصرة" و "داعش" يجد أنّ نقاط التنازع في غالبيّتها تقع في المنطقة الشرقيّة التي تضمّ، مع المنطقة الشماليّة، غالبيّة الحقول النّفطيّة السوريّة، وكذلك في المناطق الحدوديّة مع تركيا التي تشكّل ممرّات لتهريب النّفط، وجميعها تخضع للجماعات المسلّحة. وتؤكّد بعض التقارير أنّ النّفط بات مصدر التّمويل الأساسيّ لتلك الجماعات، وتقدّر مردوداته بملايين الدّولارات يوميّاً، حيث تفيد التقديرات أنّ حوالي 80 ألف برميل يتمّ إنتاجها يوميّاً، ويتمّ تصديرها إلى خارج سوريا بأسعار زهيدة، تتراوح ما بين 5 آلاف إلى 7 آلاف ليرة سوريّة للبرميل الواحد الذي يتسع لـ 225 لتر، بينما تبلغ السعة العالمية لبرميل النفط الواحد 158.98 لتراً.

وفي هذا السّياق، أعدّ المرصد السوري لحقوق الإنسان تقريراً مفصّلاً، تحت عنوان: **"دير الزّور ... شيوخ النّفط"**[65]، وثّق فيه حالة فوضى النّفط في شرق سوريا عموماً وريف دير الزّور خاصّة، عقب اشتباكات مع جبهة النصرة وداعش وكتائب وألوية مقاتلة، واشتباكات بين هذه الأطراف الأخيرة نفسها، خلفت خسائرَ بشريّة وأضراراً ماديّة. وحدّد التقرير خارطة سيطرة الفصائل المسلّحة والعشائر على حقول النّفط والغاز في منطقة دير الزّور، وشرح الطّرق البدائيّة لاستخراج النّفط وتصفيته وآليّات توزيعه وبيعه، وطبيعة التقاسم القائم بين المجموعات المسلّحة والعشائر للآبار والمحطّات النّفطيّة والنّزاعات الدامية بينها للسيطرة عليها. وأكّد التقرير أنّ حقول النّفط ومعامل الغاز تتوزّع على تسع نقاط، يتبع لها عدد كبير من الآبار التي تضخّ النّفط بنسب متفاوتة، وهي:

1- حقل العمر النفطي يقع 15 كم شرقي بلدة البصيرة.
2- حقل التنك في بادية الشعيطات.
3- حقل الورد يقع بالقرب من قرية الدوير.
4- حقل التيم 10 كم جنوب مدينة دير الزور.

---

[64]- جبهة فتح الشام (النصرة).. مصادر التمويل وحجوم الرواتب.. وفك الارتباط بالقاعدة، موقع الحل ((https://7al.net/2016/10/10/)، 10 تشرين الأول 2016.

[65]- انظر: تقرير المرصد السوري لحقوق الإنسان، https://www.youtube.com/watch?v=iIkrblmEsH8 أو: "بالتفاصيل والاسماء: فوضى النفط السوري وعمليات سرقته"، موقع: كلنا شركاء (http://syriahr.net/images/photos/430943471.jpg).

5- حقل الجفرة 25 كم شرق مدينة دير الزور.

6- معمل غاز كونيكو 20 كم شرق مدينة دير الزور.

7- محطة نفط الخراطة 20 كم جنوب غرب مدينة دير الزور.

8- محطة نفط ديرو 40 كم شمال غرب مدينة دير الزور.

9- محطة الـ"تي تو" T2 وهي محطة تقع على خط النفط العراقي السوري.

وبحسب التّقرير، فإنّ هذه الآبار والمحطّات والمعامل توفّر عائدات ماليّة ضخمة، تسيطر عليها عدّة جهات، تتوزّع بين الهيئة الشرعيّة المركزيّة التي تضمّ "جبهة النصرة والألوية والكتائب المبايعة لها، وجيش الإسلام والألوية والكتائب المبايعة، ومجموعات عشائر مسلّحة"، الأمر الذي وصل إلى حدّ تسمية بعض الآبار بأسماء العشائر التي تسيطر عليها،. وبحسب التقرير "نتج عن عمليّات ومحاولات السيطرة على الآبار النّفطية خسائر بشريّة في صفوف المتقاتلين".

وتمتدّ خارطة الصّراع بين النصرة وداعش، لتطال الموارد الاقتصاديّة المختلفة، ومنها الحقول الزراعيّة، والمعابر الحدوديّة، ومنها على سبيل المثال، المعارك بينهما في بعض مناطق ريف دير الزّور الجنوبيّ، قرب نهر الفرات، ومحاولة الطّرفين السيطرة على سهول القمح والمناطق الحيويّة جدّاً، قرب الحدود مع العراق[66].

موقف النصرة من أبناء الأديان والمذاهب الأخرى

رغم ادّعاء النصرة أنّها لا تستهدف غير المقاتلين من الجماعات الدينيّة الأخرى التي تعتبرها كافرة، مثل العلويّين والشيعة والمسيحيّين والدروز، إلّا أنّها عملت على استباحة دماء المسالمين منهم، وإجبارهم على تجنيد أبنائهم، وتخييرهم بين اعتناق الإسلام أو القتل أو التهجير، وتدنيس مقدّساتهم، كالمزارات، ودور العبادة والقبور وغيرها.

ولا تخفي النصرة عداءها للشيعة والعلويّين، لأسباب ترتبط، في الأصل، بأبعاد أيديولوجيّة دينيّة، تستند إلى مبرّرات تتّخذ رداءً شرعيّاً، ترى بطلان ما هم عليه من عقيدة. وتختزن أدبيّات خطاب النصرة الكثير من المفردات والاصطلاحات ذات الشحنة الدينيّة المتعلّقة بأبناء الدّيانات الأخرى، ومنها خاصّة عبارة "النصيريّة" للتعبير، عادة، عن العلويّين، و"الرافضة" للتعبير عن الشيعة، وهذان التعبيران، يحملان معاني دينيّة، تؤشّر إلى نوع من التجريح بما هما عليه من عقيدة، والإيحاء بكفر من يعتنقهما، وما يستدعي ذلك من تبعات شرعيّة، من وجهة نظر تكفيريّة، تتبنّاها النصرة، لجهة استحلال الدّم، وسبي النساء، والاستيلاء على الأموال، غيرها من أمور كثيرة.

وتحاول النصرة، غالباً، تغطية موقفها العدائيّ العقائديّ تجاه العلويّين والشيعة، وإضفاء طابع سياسيّ عليه، كالادّعاء بالردّ والثأر على ما تسمّيه "ارتكابات العلويّين" بحقّ أهل السنّة، أو اعتبار العلويّين والشيعة من "المحاربين"، رغم أنّ ما تستخدمه النصرة من مفردات، ينطوي على معانٍ ذات مدلول أيديولوجيّ دينيّ واضح، ما يجعله متّصلاً بالسّبب الأساسي الأول، غير منفصل عنه، ونجد ذلك صراحة في أدبيّات تعبير زعيم النصرة "أبو محمد الجولاني"، ومن أبرزها ما ورد في حواره مع قناة الجزيرة الفضائيّة (يوم الأربعاء 27 أيار 2015)، ضمن برنامج "بلا حدود"، حيث اعتبر "أن بين العلويّين وأهل السنّة" ثأراً كبيراً جداً بعد ما فعلوه بأهل السنّة، من قتل وتعذيب

[66]– "داعش" و"النصرة": صراع على "بئر نفط"، موقع دمشق الآن، 6 أيار 2014.

وتشريد واغتصاب للنّساء"، ومع ذلك يعود ويؤكّد أنّ حرب الجبهة "ليست ثأريّة، رغم أنّنا نرى أنّ العلويّين طائفة خرجت عن دين الله وعن الإسلام"، وفق تعبيره. ويشدّد الجولاني على أنّ جبهة النصرة لا تقاتل إلّا من يرفع السّلاح عليها، ومن يترك سلاحه ويستسلم "قبل أن نقدر عليه" نعطيه الأمان، ويذهب لأهله بعد أن يتبرّأ من النّظام، "حتى وإن كان قد قتل منّا ألف شخص". ويضيف: "وبالنسبة للمعابد وأماكن العبادة والأضرحة الخاصّة بالعلويّين، فقال الجولاني "نتعامل معها وفقاً للشّريعة الإسلاميّة، وأرسلنا إليهم من يصحّح عقائدهم". وعن الشيعة يقول: "أمّا القرى الشيعيّة التي نحاصرها الآن، فهي قرى تحاربنا"[67].

ولا يختلف الشأن في علاقة النصرة بمسيحيّي سوريا، رغم تأكيد الجولانيّ بعدم استهداف المسيحيّين المسالمين، وأنّ القتال يكون مع مقاتلي النّظام منهم، وبحسب الجولانيّ "النّصارى أغلبهم يقفون في صفّ النّظام، ونقاتل فقط من يقاتلنا، وليس لدينا حرب الآن معهم، ولا نحمّلهم مسؤوليّة ما تفعله أميركا أو ما يفعله أيّ من النصارى في العالم[68]، غير أنّ الأمر اختلف على الأرض، فقد هاجمت النصرة القرى والبلدات المسيحيّة المسالمة في سوريا، كصدد في حمص في آب 2013[69]، وصيدنايا ويبرود[70] ومعلولا[71] في القلمون في العام 2014، ومدينتي إدلب وجسر الشغور، التي أجبر سكانهما المسيحيّون الذين عاشوا فيها منذ آلاف السنين، على مغادرتها، بعد اقتحامها في نيسان 2015، وهجّروا، وبعضهم هرب عبر الأراضي الزراعيّة إلى مناطق تحت سيطرة الجيش السوريّ، ومن بقي منهم في أرضه أجبرتهم النصرة على المغادرة، بعد الاعتداء على ممتلكاتهم ومصادرة أموالهم[72].

ورغم التطمينات التي قدّمتها النصرة للدروز في سوريا، لاعتبارات تتعلّق بظروف انتقال عناصرهم إلى فلسطين المحتلّة للمعالجة، عبر بوابة الجولان التي يقطنها الدروز، فقد حاولت النصرة إجبار من بقي من الدروز في القرى والبلدات التي سيطرت عليها على اعتناق الإسلام، وإلحاق أبنائهم بمعسكرات تدريبها، والزواج من فتياتهم، وتهديم مقاماتهم الدينيّة، وتغيير أزيائهم التقليديّة، ونبشوا قبور أوليائهم ورجال الدين. كما ارتكبت النصرة مجزرة بحقّ سكان قرية "قلب اللوز" الدرزيّة في إدلب[73] ، التي تقع تحت سيطرتها، قتل فيها عشرون شخصاً، مع أنّ غالبيّة

---

[67]– مقابلة لزعيم النصرة أبو محمد الجولاني مع قناة الجزيرة الفضائيّة، ضمن برنامج "بلا حدود"، مرجع سابق.

[68]– المرجع السابق نفسه.

[69]– بعد إعادة سيطرة الجيش السوري بلدة صدد، تمّ اكتشاف مقبرتين جماعيتين في البلدة، تحتوي على ثلاثين جثة لنساء ورجال وأطفال. انظر: المسيحيون الذي فروا إلى سوريا يبدأون بالعودة إلى مدينة صدد السورية، Agenzia Fides وكالة أنباء تابعة للأعمال الإرسالية الحبرية منذ 1927، 6 نيسان 2016. وجاء في المصدر المذكور ما نصّه: "ووفقاً لمصادر الكنيسة المحلية، خلال غزو المدينة المؤقت من قبل جهاديي النصرة في آب 2013، وقعت مجازر بحق السكان المدنيين، وهذا تم تأكيده بعد اكتشاف مقبرة جماعية فيها 30 جثة".

[70]– ورد في جريدة الأخبار اللبنانيّة بتاريخ 21 آذار 2014 لمدونة مصوّرة لهيثم الموسوي، احتوت صوراً لحجم الدّمار الذي لحق بـ (كنيسة السيدة للروم الكاثوليك) في مدينة يبرود التي استعادها الجيش السوري بالتعاون مع حلفائه قال: "رحل المسلّحون عن مدينة يبرود، غير أن بصمات الحقد لا تزال موجودة. يكفي أن تزور كنيسة السيدة للروم الكاثوليك، فهنا كل شيء محطّم، المقاعد، أيقونات السيدة العذراء واللوحات التي كانت تزيّن جدران الكنيسة... على الأرض، رأس تمثال السيد المسيح مفصول عن الجسد ومرمي جنباً، أما بقايا التمثال، فمبعثرة، بينما الأناجيل أُحرقت...".!

[71]– في مطلع كانون الأول 2014، سيطرت النصرة وفصائل أخرى على قرية معلولة بالقلمون شمال دمشق وهي ذات التراث المسيحي القديم، ومنه دير مار تقلا الذي دخلته، واختطفت 13 راهبة من العاملات فيه، بينّهنّ رئيسة الدير بلاجيا سياف، قبل الإفراج عنهنّ بعد مضي مدّة ثلاثة أشهر، في صفقة تبادل مع الحكومة السوريّة بوساطة قطريّة.

[72]– انظر: جبهة النصرة تطرد المسيحيين من إدلب وجسر الشغور بعد السيطرة عليهما، الميادين، 7 أيار 2015.

[73]– في 10 حزيران 2015 أقدم عناصر من النصرة على مهاجمة قرية "قلب لوزة" الدرزيّة، في جبل السّماق في إدلب (شمال سوريا)، وقالت المصادر إنّ أحد أسباب المجزرة هو رفض رجال البلدة تسليم أولادهم الذين تراوح أعمارهم بين 10 و14 عاماً لإرهابيّي "النصرة"، بعد أن أصدر "أمير" التنظيم الإرهابي في جبل السّماق المدعو "أبو عبد الرحمن التونسي" قراراً قبل نحو أسبوع بسحب الأولاد إلى معسكرات تدريب مغلقة لمدّة شهرين، وأُبلغ القرار للأهالي بالتزامن مع حملة مصادرة الأسلحة الفرديّة من القرى.

أبنائها جانبوا دعم الحكومة، منذ بداية النّزاع في سوريا، خلافاً لما فعله إخوانهم في جبل الشّيخ والسويداء من إعلان تمسّكهم بالدولة، وولائهم للنّظام القائم. وحاولت النصرة تحت وطأة الضجّة الإعلاميّة الواسعة للمجزرة، واستنكاراً داخليّاً وخارجيّاً واسعاً، تبرير ما جرى بأنّه "خطأ غير مبرّر، وأنّه تمّ من دون علم القيادة"، وتعّهدت بتقديم مرتكبي المجزرة للمحاكمة؛ لمخالفتهم التّوجيهات[74].

ولا يخفى أنّ ما تظهره النصرة من موقف مهادن للمسيحيّين أو الدروز، رغم الموقف الاعتقاديّ نحوهم، الذي لا يقلّ سوءاً عن موقفها من العلويّين والشيعة، يأتي منسجماً مع موقفه المهادن للولايات المتّحدة الأميركيّة والغرب، وتحييدهم عن ساحة المعركة التي ينشغل فيها، بمواجهة النّظام والعلويّين والشيعة[75].

العلاقة مع الفصائل الأخرى

تأرجحت علاقة النصرة مع الفصائل والجماعات المسلّحة الأخرى في سوريا، وتقوم سياستها المعلنة على الحفاظ على علاقات جيّدة مع الفصائل المعارضة، وبخاصّة القويّة منها، وعلى الأخصّ الجماعات الإسلاميّة منها؛ ولذا، في كثير من الحالات رفعت النصرة من وتيرة مشاركتها في مواجهة المواقع الحكوميّة في مناطق تواجدها، ولا سيما في محافظة إدلب السوريّة، وربّما تزعّمت فيها فصائل معارضة أخرى، شاركت في تلك المواجهات، سواء كانت فصائل "إسلاميّة" متشدّدة، كالجبهة الإسلاميّة، أم فصائل علمانيّة مدعومة من الولايات المتّحدة، كالجيش السوريّ الحرّ.

ورغم أنّ النصرة ليست جزءاً من الجبهة الإسلاميّة التي تضمّ جماعة من الفصائل المسلّحة "الإسلاميّة"، فإنّها غالباً ما تتعاون مع أعضاء الجبهة الإسلاميّة في مواقع مختلفة في سوريا، لا سيّما مع حركة أحرار الشّام، التي يمكن القول إنّها أقوى منظّمة في الجبهة الإسلاميّة، وكانا الحليف الثنائيّ الرئيسيّ في الاستيلاء على محافظة إدلب خلال عامي 2014 و 2015.

غير أنّ علاقة النصرة مع بقيّة الفصائل، في الواقع، ليست مبدئيّة وثابتة، وهي كغيرها من المنظّمات المسلّحة في سوريا، علاقاتها مع المجموعات الأخرى معقّدة، وتتغيّر على الأرض باستمرار. ولعلّ أوضح تعبير عن حال النصرة في ذلك هو ما أفصح عنه مسؤول العلاقات السياسيّة الخارجيّة في حركة أحرار الشّام لبيب نحّاس حول علاقة الحركة بالنصرة، رغم التنسيق الكبير بين الطرفين؛ إذ أكّد "أنّها كأيّ علاقة مع أيّ فصيل يحارب النّظام، ننسّق معهم ميدانيّاً في الجبهات المشتركة، وهم فصيل مشهود لهم بشراسة القتال ضدّ النّظام، ولكنّ مشروعنا يختلف كليّاً عن مشروعهم ورؤيتهم لمستقبل سوريا". مشيراً "إلى أنّ سلوك "النصرة" في الأشهر الأخيرة بات مُقلقاً

وقالت المصادر إنّ إرهابيّي "النصرة" من "المهاجرين" (الأجانب والعرب) "باتوا يطلبون الزواج بفتيات القرى، حتى نثبت لهم اعتناقنا إسلامهم، وهذا ما نرفضه". وقالت مصادر أخرى إنّ السبب المباشر هو "صدور قرار من التونسي بمصادرة منازل أهالي شهداء الجيش السوري ورمي عائلاتهم خارجاً، ما دفع الأهالي إلى التمرّد".... ومع أنّ أهالي القرى منذ بداية الأزمة السوريّة، عملوا بتوجيهات جنبلاط بالتعاون مع "الثّوار"، معاكسين الموقف العام لأقربائهم في جبل الشيخ والسويداء بالتمسك بالدولة السوريّة، إلّا أنّه بعد فترة قصيرة من سيطرة "النصرة"، بدأت معاناة أهالي القرى من ممارسات الإرهابيّين باسم "الشريعة"، فأُجبروا على تهديم مقاماتهم الدينيّة، وتغيير أزيائهم التقليديّة، ونبش الإرهابيّون قبور أوليائهم ورجال الدين. أنظر: (فراس الشوفي، ذبح دروز إدلب: لا شفاعة لأحد!، الأخبار، الخميس ١١ حزيران ٢٠١٥).

[74]– "جبهة النصرة" تتعهد بمحاكمة شرعية لعدد من عناصرها اتهموا بقتل دروز بريف إدلب، بالعربيCNN ، الأحد، 14 حزيران 2015.

[75]– مقابلة لزعيم النصرة أبو محمد الجولاني مع قناة الجزيرة الفضائيّة، ضمن برنامج "بلا حدود"، مرجع سابق.

للجميع"[76]، وسجّل بين الطرفين نشوب نزاعات عنيفة؛ لأسباب تتّصل بفرض السيطرة على الأراضي أو لأسباب أخرى تتعلّق بالمصالح وتضارب الأهداف.

ووفق دراسة لمركز عمران للدراسات الاستراتيجيّة، فإنّه يمكن حصر سلوك النصرة مع فصائل المعارضة في محافظة إدلب بمنهجين: الأوّل احتوائيّ وتغلغليّ مع الكتائب السلفيّة الجهاديّة الوطنيّة، والثاني يعتمد على مبدأ المناكفة مع فصائل المقاومة المسلّحة؛ فقد تلجأ جبهة النصرة إلى التّحالف مع الجبهة الإسلاميّة لأسباب سياسيّة وعسكريّة خاصّة بالنصرة، مستغلّة الوضع التنظيمي الجديد لحركة الأحرار بعد مقتل قادتها في تفجير أيلول 2014، ولأهداف لوجستيّة واقتصاديّة، بسبب سيطرته على معبر باب السّلامة، ممّا يؤمّن للنصرة منفذاً للعالم الخارجيّ. أمّا علاقتها مع كتائب الجيش الحرّ، فإنّها تتّسم بالحفاظ على توازن رعب ومصالح مشتركة، تتحكّم فيها النصرة وفق استراتيجيّتها الخاصّة، وكثيراً ما تتعمّد إعادة تعريف قواعد اللّعبة عندما تتسنّى لها فرصة القضاء على أحد الفصائل المنافسة التي تشترك معها في جغرافيّة واحدة. وتشكّل الأحداث مع حركة حزم[77] حالة نموذجيّة في هذا الصدد، وتعتبر إعادة شبه حرفيّة لسيناريو قضاء جبهة النصرة على جبهة ثوار سوريّة[78]،[و"كتيبة شهداء البيئّاضة"[79]، و"الفرقة 13"[80]، و"جند الأقصى"[81] المقرّبة جدّاً من النصرة، وغيرها الكثير من الحالات المماثلة][82]، حيث تبدأ بإطلاق حملة إعلاميّة وتشويه للخصم، لتأليب الرأي العام ضدّه، وتحرج باقي الفصائل في الدّفاع عنها والاصطفاف معها، ثم تعتمد على دفع الطرف الآخر نحو ردود أفعال تفضي إلى نشوء "حقّ" أو "دم" تطالب به النصرة لدى المحاكم الشرعيّة[83]، تلك المحاكم التي تتحكّم فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وتنتهي أخيراً بمواجهة

---

[76]– أحرار الشام.. سلوك جبهة النصرة بات مُقلقاً، موقع أورينت (http://orient-news.net/ar/news_show/106920/0)، 23 آذار 2016.

[77]– في 28 كانون الثاني 2015 استولت "جبهة النصرة" على مواقع حركة "حزم" غربي حلب، وبرّرت "النصرة" هجومها باحتجاز الحركة اثنين من مقاتليها، ولم تلبث أن أعلنت "حركة حزم" في بيان لها حلّ نفسها، واندماجها بالجبهة الشاميّة؛ وذلك عقب مقتل العشرات من عناصرها . (انظر: جبهة النصرة تطرد "ثوار سوريا" من جبل الزاوية بإدلب.. ومعروف يهدد: سنُخرج تنظيم الجولاني كما أخرجنا داعش، الشرق الأوسط، 2 تشرين الثاني 2014).

[78]– في أواخر عام 2014 أنهت النصرة وجود "جبهة ثوار سوريا"، بقيادة جمال معروف، وذكر تقرير لمركز "مسار برس" السوري المعارض أن المواجهات بدأت بين "جبهة النصرة" و"جبهة ثوار سوريا" على خلفية انشقاق كتيبة كاملة تابعة للأخيرة وإعلانها الانضمام إلى "النصرة" مع عتادها، وانتهت المعركة بين الطرفين بسيطرة جبهة النصرة على كامل جبل الزاوية، وهو منطقة استراتيجية في محافظة إدلب". وفي 2 تشرين الثاني تمكّنت النصرة من أسر قائد الجبهة جمال معروف. (انظر: جبهة النصرة تطرد "ثوار سوريا" من جبل الزاوية بإدلب.. ومعروف يهدد: سنُخرج تنظيم الجولاني كما أخرجنا داعش، الشرق الأوسط، المرجع السابق).

[79]– في15 كانون الأول 2015 هاجمت النصرة كتيبة "شهداء البيّاضة"، في ريف حمص الشمالي، وملاحقة قائدها عبد الباسط الساروت الذي فرّ مع عدد من مقاتلي الكتيبة، عقب اشتباكات عنيفة مع "جبهة النصرة" وحركة أحرار الشام، أدّت إلى مصرع عدد من العناصر لكلا الجانبين، وانتزاع عدّة قرى وبلدات من الكتيبة، ووجّهت النصرة اتّهامات للساروت بمبايعته لتنظيم "الدولة". و أصدرت المحكمة الشرعيّة العليا لريف حمص بياناً، أكّدت فيه ثبوت مبايعة "الساروت" لتنظيم الدولة وإيواء بعض جنودها "المتورّطين في سفك الدماء (انظر: ميار حيدر، (الساروت) ينجو من "النصرة" في ريف حمص ولا موقف رسمي حول مبايعته (الدولة)، موقع بلدي نيوز، الثلاثاء 15 كانون الأول 2015).

[80]– قامت النصرة بالسيطرة على عدد من مقار "الفرقة 13"، المدعومة من الولايات المتحدة الأميركيّة، عقب اشتباكات، جرت ليل السبت الأحد 25 و26 حزيران 2016، في جنوب مدينة إدلب، وقتلت وأسرت عدداً من عناصر الفرقة (أنظر: "النصرة" تسيطر على مقارّ لـ"الفرقة 13" في ريف إدلب، الأخبار، الاثنين 2:18 م 27 حزيران).

[81]– عمدت النصرة إلى طرد "جند الأقصى" بذريعة سعي الأخير للحاق بمعسكر "داعش"، رغم متانة العلاقة السابقة بين الطرفين والعلاقة الوطيدة التي كانت تجمع "أمير النصرة"، أبو محمد الجولاني، بمؤسس "جند الأقصى"، أبو عبد العزيز القطري (قتله مسلحو "جبهة ثوار سوريا"، في جبل الزاوية ـ إدلب، عام 2014). (أنظر: سائر اسليم، "النصرة" تطرد "جند الأقصى" من البادية: حلفاء الأمس أحباب "داعش"، الأخبار العدد ٢٩٢٤ الخميس ٣٠ حزيران ٢٠١٦).

[82]– ما بين مزدوجين زيادة منّا على النصّ المقتبس.

[83]– ويشهد على ذلك ما ورد في كلام الشيخ حذيفة عزّام ابن مؤسّس الجهاد الأفغاني عبد الله عزّام، حيث يقول "كلّ مشكلة في الساحة السوريّة ما لم تكن جبهة النصرة طرفا فيها حلّها سهل وهين تحلّ على كأس من الشاي أو وجبة غداء أو عشاء نجمع فيها الأطراف وتنتهي المشكلة في نفس المجلس، بل أقسم بالله العظيم أنّ كثيراً منها تحلّ باتصال أو مراسلة عبر وسائل التواصل، وما سعيت في حلّ مشكلة بين الفصائل إلا نجحت ووفقت فيها إلا حين تكون النصرة طرفاً في الإشكال، فلا أنا ولا غيري تمكنا في

حتميّة مع الفصيل بعد أن أنهكته وعزلته، وبات ضعيفاً ومخلخلاً تنظيميّاً غير قادر على إدارة معركة طويلة معها[84]. وما دامت النصرة قادرة على إلغاء خصمها، فإنّها تغلق أيّ نوافذ للحلّ معه حتى ينتهي الأمر بالقضاء عليه أو انضمامه إليها أو إلى غيرها من الجماعات القويّة الأخرى.

وسجّلت للنصرة مواجهات مع أطراف قويّة كجيش الإسلام[85] وأحرار الشّام في ساحات المشتركة، لكنّها كانت تنتهي عادة بتشكيل لجان أو هيئات تحكيميّة للبتّ بالخلافات بين أطرافها، أو تفعيل غرف العمليّات مشتركة، أو إقامة تحالفات جديدة متقابلة، وضم فصائل صغيرة، تحتاج إلى حماية، ما يؤمّن مزيداً من القوّة في مواجهة الفريق الآخر؛ وذلك بهدف تثبيت التّوازن القائم بينها، ومنع طرف التغلّب على الطرف الآخر، وإمكانيّة استعار المعركة لتشمل جبهات أخرى، فيتمكّن طرف خاسر في ساحة الانتقام من الطرف الآخر في ساحة أخرى[86].

العلاقة مع داعش

رغم حدّة العداوة والصّراع الكبير بين النصرة وداعش، والتكفير المتبادل، والقتال المتواصل بينهما في جبهات مختلفة، فإنّ الوقائع تدلّ على أنّ هناك تعاوناً، ولو متقطّعاً، على الأرض بين الوحدات المقاتلة لدى الفريقين في مناطق معيّنة من سوريا ولبنان، دون أن يعني ذلك مؤشّراً إلى نهاية للعداوة بين الطرفين، وفقاً لقائد النصرة

يوم من الأيام وخلال السنتين الماضيتين من حلّ أيّ إشكال كانت النصرة طرفا فيه قطّ. لأنّهم يتلاعبون بك ويتقاذفونك وعساكرهم على الأرض ماضية قدما في الحسمّ. انظر: حشاشو أفغانستان وإمارة الجولاني، أورينت نت، 17 آذار 2016.

[84]– مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، استشراف خيارات جبهة النصرة في الشمال السوري/ تقدير موقف: مسار السياسة والعلاقات الدولية، تاريخ الإصدار 6 آذار/ مارس 20.

[85]– منها الأحداث التي وقعت بين الطرفين في العام 2015 بعد خلاف نشب بينهما في الغوطة الشرقية على أثر عدّة حوادث حصلت منها حوادث اعتقال لشخصيات من الطرفين، فتم عقد بتاريخ 19-7- 2015 أجتماع بين قائد جيش الإسلام الشيخ "زهران علوش" وقيادة جبهة النصرة في الغوطة الشرقية الشيخ "أبو عاصم" وتم الاتفاق على وقف حملات التخوين والتشهير والتحريض من الجانبين، والتعهّد بمحاسبة كلّ من المخالفين لهذا الإثبات من الجهتين، وإعادة تفعيل التّعاون الأمني بينهما لحلّ كلّ الملفّات. (انظر: إتفاق بين "النصرة" و"جيش الإسلام" لإنهاء الخلافات وتوحيد العمليات، النشرة، الإثنين 20 تموز 2015).

[86]– وآخرها الاشتباكات التي خاضتها جبهة فتح الشام (النصرة سابقاً) يوم الثلاثاء 23 كانون الثاني 2017 على محاور عدة في محافظة إدلب (شمال غرب) وريف حلب الغربي، ضد معسكر لفصيل "جيش المجاهدين"، على محاور عدة في محافظة إدلب (شمال غرب) وريف حلب الغربي، وذلك بعد انتهاء مؤتمر الأستانة حول سوريا الذي شاركت فيه فصائل معارضة، فبذريعة تمرير تلك الفصائل "المؤتمر الذي نص بيانه (...) على اتفاق مشترك لقتال جبهة فتح الشام وعزلها". وأسفر عن معارك، توسعت لاحقاً لتشمل فصائل معارضة أخرى، بينها حركة "أحرار الشام" و"الجبهة الشامية" و"صقور الشام"، **فانضم** إلى حركة أحرار الشام، التي تعد أبرز الفصائل المعارضة في سوريا، ما لا يقل عن ست فصائل معارضة أخرى، ولوحت بنشوب معركة شاملة مع النصرة، حيث أعلنت في بيان الخميس (25 كانون الأول 2017) "شهدت ثورتنا المباركة خلال الساعات الماضية سلسلة من الاعتداءات التي كادت أن تنزلق بالثورة إلى هاوية الاحتراب الشامل". و أضافت الحركة أنها "تقبل انضمام إخوانها في ألوية صقور الشام وجيش الإسلام – قطاع إدلب وكتائب ثوار الشام والجبهة الشامية – قطاع حلب الغربي وجيش المجاهدين وتجمع فاستقم كما أمرت وغيرهم من الكتائب والسرايا". وأكدت الحركة أن "أي اعتداء على أحد أبناء الحركة المنضمين لها أو مقراتها هو بمثابة إعلان قتال لن تتوانى حركة أحرار الشام في التصدي له وإيقافه مهما تطلب من قوة" ورفض مدير العلاقات الخارجية السياسية لأحرار الشام، لبيب النحاس، اتهام الفصائل بالتواطؤ. وقال في تغريدة على موقع "تويتر": "الفصائل الثورية التي تتهمها فتح الشام بالعمالة والردة وتبغى عليها هي من دافعت عنها في المحافل الدولية واللقاءات المغلقة". واعتبر النحاس أن "جبهة فتح الشام أمام مفترق طرق: إما أن تنضم بشكل نهائي للثورة أو تكون داعش جديدة". وفي المقابل، انضم عدد من الفصائل السورية الإسلامية المعارضة المسلحة إلى جبهة فتح الشام السبت (28 كانون الثاني/يناير 2017). فأعلنت جبهة فتح الشام في بيان إنه نظراً "للمؤامرات التي تمز الثورة السورية"، فإنها أعلنت الدمج الكامل لأربعة فصائل في تحالف "تحرير الشام". والفصائل الأربعة هي "لواء الحق" و"جبهة أنصار الدين" و"جيش السنة" إضافة إلى مجموعة نور الدين الزنكي. انظر: فصائل سورية معارضة تتوحد في ظل معارك مع "فتح الشام، موقع DW، 26 كانون الأول 2017. وانظر أيضاً: سوريا: فصائل إسلامية مسلحة تنضم لجبهة "فتح الشام" المرجع نفسه، 28 كانون الأول 2017.

الجولانيّ، الذي استبعد في تموز عام 2015 أن يكون هناك أيّ بادرة لحلّ الأزمة بين الطرفين في الوقت الحالي[87] واستمرار القتال معها. علماً بأنّ موقفاً مغايراً للجولانيّ تجاه القتال مع داعش، سجّله أمير جبهة النصرة في القلمون "أبو مالك التلّي"[88] الذي فضّل عدم التقاتل مع عناصر التّنظيم في القلمون، قبل أن يعود في 27 تشرين الثّاني 2015 وينشر بياناً صوتيّاً مسجّلاً حمل عنوان "النّداء الأخير"[89]، ردّاً على مهاجمة داعش لمقاتلي النصرة في القلمون وطردهم من مواقعهم. ومع ذلك، فقد سجّل بعض التّعاون بين الطرفين لأسباب تتّصل بمصالح مشتركة؛ ففي آب 2014، صدر شريط فيديو مشترك مناهض لحزب الله من الجبال الشرقيّة للبنان، حيث اتّخذ جنوداً لبنانيّين رهائن، وتكرّر التّعاون بين الطرفين في القلمون، كما حصل في تموز 2015، حيث تحدّثت المعلومات "عن عودة التّعاون بين الخصمين بعد مواجهات عنيفة، اندلعت بينهما" الشّهر السابق[90]، "ويعود الفضل في ذلك، بحسب الخبراء المتابعين، لأبي مالك التّلي، الذي استخدم هوامشه لعدم الالتزام بقرار أمير "النصرة" أبو محمد الجولانيّ القاضي بإعلان الحرب الشّاملة على "داعش" في مطلع شباط 2014، وهو قرار تُرجم في جميع السّاحات المشتركة، باستثناء القلمون الغربيّ الممتدّ نحو الحدود اللبنانيّة والقلمون الشرقيّ الممتدّ باتّجاه البادية السوريّة[91]، وكان للرجل علاقات قويّة مع تنظيم داعش وقيادته في سوريا والعراق، وهو ما أهّله لأن يكون مؤسّساً لفكرة الالتقاء مع "داعش" في القلمون، وكان داعش قد أرسل قبل فترة قصيرة أكثر من 100 مقاتل في 22 مركبة، لمساعدة جبهة النصرة، في الهجوم الذي شنته ضدّ تحالف "جبهة ثوّار سوريا"، بقيادة جمال معروف في محافظة إدلب، وكان الأخير ذكر أنّ عناصر داعش انضمّوا إلى النصرة في المعركة التي شنتها ضدّه في جبل الزّاوية بتاريخ 2

---

[87]–انظر: الجولاني يتحدث عن "عاصفة الحزم" و الإخوان و"الدولة" (شاهد)، موقع عربي 21 (http://arabi21.com/story/835658/)، الأربعاء، 03 يونيو 2015.

[88]– قال أبو مالك التلّي، المعروف أيضاً بلقب "أبو مالك الشامي"، في بيان نشر على صفحات تستخدمها جبهة النصرة لتمرير بياناتها ومعلومات عملياتها، على موقع التواصل الاجتماعي، تويتر: "إننا لا نرى أن جماعة الدولة الاسلامية كفاراً ولا مرتدين، بل إن ما ندين الله به أنهم إخواننا في الدين حصل من بعضهم بغي على المسلمين، ولا نطلق صفة الخوارج على تنظيم الدولة بكافة عناصره.. بل نرى أن كل من يولغ في تكفير المسلمين واستحلال دماءهم ويبدأ قتالهم خارجياً وجب دفع صياله سواء كان من تنظيم الدولة الإسلامية أو تنظيم أو أي جماعة أخرى. والله أعلم". المصدر: أنظر: أمير القلمون بجبهة النصرة يعارض إطلاق وصف "الخوارج" على داعش: لا نراهم كفاراً ولا مرتدين بل إخواننا في الدين، بالعربيCNN ، يوم الاثنين 22 كانون الأول 2014.

[89]– في البيان المسجل تحت عنوان "النداء الأخير" اتهم أمير جبهة النصرة في القلمون "أبو مالك التلي"، تنظيم الدولة بقتال المجاهدين وطردهم من المناطق، وتسليمها للنظام في حلب، ثم منع النفط عن المجاهدين وبيعه لنظام الأسد. وقال "أبو مالك الشامي"، في شريط سمعي نشر الجمعة، إن هدف التنظيم بات واضحا، و "هو هدم المشروع الجهادي، وإطفاء نور الإسلام بمؤامرات خارجية، قد تخفى على كثير من عناصر التنظيم، فبعدما طعنوا بالمسلمين وبخاصة المجاهدين في أغلب المناطق، سلموا قراهم للنظام وهجروا المسلمين وقتلوا قادات الجهاد". وتابع التلي في الشريط الذي شريط سمعي نشر الجمعة حمل عنوان "النداء الأخير أن التنظيم، وحذر "التلي" من أن كلمته هي بمثابة "النداء الأخير" الذي ينبغي لقيادات التنظيم وعناصره في التنظيم أن يستجيبوا له قبل أن يكونوا من "الهالكين"، دون أن ينكر أن بعض هؤلاء آواه ونصره (أي آوى أبو مالك.وقال "أبو مالك الشامي"، في شريط سمعي نشر الجمعة حمل عنوان "النداء الأخير"، "إن هدف التنظيم بات واضحا، وهو هدم المشروع الجهادي، وإطفاء نور الإسلام بمؤامرات خارجية، قد تخفى على كثير من عناصر التنظيم، فبعدما طعنوا بالمسلمين وبخاصة المجاهدين في أغلب المناطق، سلموا قراهم للنظام وهجروا المسلمين وقتلوا قادات الجهاد، وحذر "التلي" من أن كلمته هي بمثابة "النداء الأخير" الذي ينبغي لقيادات التنظيم وعناصره في التنظيم أن يستجيبوا له قبل أن يكونوا من "الهالكين"، دون أن ينكر أن بعض هؤلاء آواه ونصره. انظر: أمير النصرة بالقلمون يوجه النداء الأخير لتنظيم الدولة (شاهد)، عربي 21 (https://arabi21.com/story/876153)،الجمعة 27 تشرين الثاني 2015.

[90]– أنظر: مواجهة حزب الله لـ "النصرة" و "داعش" توحد الخصمين الجيش اللبناني يلقي القبض على "نسر عرسال" المتهم بتنفيذ عمليات تفجير، الشرق الأوسط، 13 تموز 2015.

[91]– السفير، "داعش" و"النصرة" يحضّران لهجوم ما بعد الثلج 21 فبراير، 2015.

تشرين الثاني 2014[92]، وعكست معارك ريف حلب الجنوبيّ في أيّار 2016 تعاوناً بين الطرفين ضمن "جيش الفتح"، وإن لم تعلن النصرة أنّ داعش ضمن التشكيلات المقاتلة التي جرى حشدها من ريفي إدلب وحماة[93].

ومّما لا شكّ فيه أنّ دوافع تعاون النصرة مع داعش، مضافاً إلى المصالح المشتركة، يستمد تبريراته من دعوة زعيم القاعدة أيمن الظواهريّ الذي أطلقه في بعض بياناته، ومنها بيانه المسجّل المنشور في أيلول 2015 الذي رفض فيه شرعيّة ما سمّي بالدولة الإسلاميّة التي أعلنها أبو بكر البغداديّ، لكنّه ألمح إلى إمكانيّة التّعاون بين تنظيم النصرة والدّولة الإسلاميّة على أرض الواقع ضد التّحالف الذي يقوده الغرب[94].

وعلى أيّ حال، لا يمكن الحديث عن تعاون استراتيجيّ أو تكتيكيّ مستمرّ بين النصرة وداعش، بقدر الحديث عن مصالح آنيّة مشتركة، تحكمها ظروف ساحات المعركة، وظروف كلا الطرفين، في ظلّ العداوة الكبيرة، والخلافات العميقة بينهما.

فكّ الارتباط بالقاعدة واستبدال النصرة بـ"فتح الشّام"

في 28 تموز 2016 أعلن زعيم النصرة أبو محمد الجولاني عن حلّ جبهة النصرة، وفكّ ارتباطها بتنظيم القاعدة، وتشكيل فصيل جديد يسمّى جبهة "فتح الشّام" "لن تكون له علاقة بأيّ جهة خارجيّة"[95]. وبحسب الجولانيّ فقد جاء الإعلان بهدف تحقيق أمرين:

الأول: "تقريب المسافات بين الفصائل"، و"حماية الثّورة السوريّة".

الثاني: "دفع ذرائع المجتمع الدّوليّ".

وما لم يذكره الجولانيّ أوضحه المتحدّث باسم جبهة فتح الشّام حسام أبو عمار الذي بيّن الفارق بين ما كانت عليه النصرة وما آلت إليه، والغايات الأخرى التي تقف خلف الإعلان، ومنها أن تكون هذه الخطوة مفيدة "في إزالة المخاوف وتقريب المسافات بين النصرة والفصائل الأخرى، لحماية "كيان أهل السنّة"، وكذلك من أجل زيادة المجنّدين والحاضنة الاجتماعيّة، حيث يوجد بين الشّعب من لا يوافق على استهداف الغرب وأميركا، كما تتبنّى ذلك القاعدة"[96].

وعليه، فإنّ الخطوة ذات بعدين مركزيّين آخرين، يقفان خلف ما ذكره الجولانيّ: الأوّل، بعد شعبيّ داخلي، يتعلّق بتحقيق المزيد من الرصيد الشعبيّ، من خلال إضفاء الطابع المحلّي على التشكيل الجديد؛ والثاني، بعد خارجيّ

---

[92]– جبهة النصرة تطرد "ثوار سوريا" من جبل الزاوية بإدلب.. ومعروف يهدد: سنُخرج تنظيم الجولاني كما أخرجنا داعش، الشرق الأوسط، 2 تشرين الثاني 2014.

[93]– انظر: الميادين، 6 أيار 2016.

[94]– جاء في بيان الظواهري: "لو كنت في العراق أو في الشام لتعاونت معهم في قتال الصليبيّين والعلمانيّين والنصيريّين والصفويّين، رغم عدم اعترافي بشرعيّة دولتهم، ناهيك بخلافتهم؛ لأنّ الأمر أكبر منّي ومن زعمهم إقامة الخلافة". انظر: الظواهري لا يعترف بشرعية "الدولة الإسلامية"، النهار، 9 أيلول 2015.

[95]– أطلّ أبو محمد الجولاني من خلال مقطع فيديو مسجل، نشرته قناة "الجزيرة" مساء الخميس، 28 تموز 2016، مدّته ثلاث دقائق ونصف تقريباً، في أوّل ظهورٍ له إلى العلن، وهو إلى يمين أبو عبد الله الشامي (عبد الرحمن عطون)، القيادي وعضو مجلس الشورى في جبهة النصرة، وعلى يسار "شيخٍ" يظهر للمرة الأولى، حيث أعلن الجولاني فكّ الارتباط بتنظيم "القاعدة"، وتشكيل فصيل جديد يسمّى جبهة "فتح الشام"، في أوّل ظهورٍ له إلى العلن. وأكّد الجولاني أنّ الفصيل الجديد "لن تكون له علاقة بأيّ جهة خارجيّة". واعتبر أنّ الإعلان يأتي بهدف "تقريب المسافات بين فصائل المجاهدين في الشام، وحماية الثورة السوريّة وجهاد أهل الشام"، مضيفًا أنّه "جاء تلبية لرغبة أهل الشام في دفع ذرائع المجتمع الدولي".

[96]– لماذا غيرت النصرة اسمها إلى "فتح الشام"؟، الجزيرة ضمن برنامج "ما وراء الخبر"، 28 تموز 2016.

تطمينيّ، يتعلّق برسالة إيجابيّة باتّجاه أميركا والغرب عموماً بالتخلّي عن مشروع تنظيم القاعدة العالميّ المعادي له، فهو أقرب إلى فتح أبواب على الخارج أكثر منه دفع ذرائع، خلافاً لما ورد في إعلان زعيم النصرة.

وكان كثر الحديث، قبل فترة من إعلان الجولانيّ، عن مدى إمكانية اتّخاذ جبهة النصرة قراراً في هذا الصدد، ما يسهم في تبرير المواقف الخارجيّة التي تمتنع عن إدراج النصرة في ضمن المنظّمات الإرهابيّة أو تسويقها للعب دور في أيّ تسوية للأزمة السوريّة، وبالتالي، ربط الموقف الدولي منها بأبعاد محلّيّة، من خلال تحديد طبيعة السلوك الخاصّ بالنصرة نفسها، وساعد في ذلك خطاب النصرة البراغماتيّ المهادن للولايات المتّحدة الأميركيّة وأوروبّا، وتعهّدها بعدم استهداف أراضي الدول الغربيّة أو مصالحها في سوريا بسوء، وعقد روابط محلّيّة مع الفصائل والجماعات المسلّحة الأخرى، بما فيها العلمانيّة منها، كالمشاركة في "جيش الفتح"[97] الذي يضمّ فصائل متشدّدة، أبرزها أحرار الشّام، وأخرى علمانيّة، كالجيش السوريّ الحرّ، وتراجعها عن بعض الأعمال المستفزّة للغرب، كإطلاق سراح جنود القوّات الدوليّة بعد خطفهم، أو إعادة عناصر الفرقة 13 المدعومة أميركيّاً بعد السيطرة على مقرّاتها والاستيلاء على أسلحتها وغيرها.

وكانت وكالة رويترز تحدّثت يوم الأربعاء 4 آذار 2015 عن نيّة النصرة بدرس خطوة التخلّي عن تنظيم القاعدة ، وتشكيل كيان مسلّح جديد تدعمه دول خليجيّة، يستهدف الإطاحة بحكم الرئيس بشار الأسد. ووفق ما نقلته الوكالة، فإنّ أمير جبهة النصرة "أبو محمد الجولانيّ"، التقى مسؤولين خليجيّين ـ لم تسمّهم الوكالة ـ وحاولوا إقناعه بالفكرة، وإنّه من الواضح أنّ "الجولانيّ" يؤيّد هذا المقترح، رغم وجود اعتراضات داخل مجلس شورى "جبهة النصرة"، وترمي الخطّة إلى فكّ ارتباط جبهة النصرة بتنظيم القاعدة مقابل زيادة الدّعم الماليّ، بالإضافة إلى تشكيل كيان جديد، يضمّ جبهة النصرة وجيش المهاجرين والأنصار في سوريا. وحسب المصادر ذاتها، فإنّ دولاً خليجيّةً، منها "قطر"، تريد من "جبهة النصرة" أن تكون فصيلاً سوريّاً بحتاً، لا صلة له بتنظيم القاعدة بتاتاً، وإنّ الدّول مستعدّة لتقديم الدّعم الماليّ واللوجستيّ بمجرد قطع النصرة العلاقات بالقاعدة[98].

وبدا من خلال تضارب تصريحات النصرة بشأن استمرار ارتباطها بالقاعدة[99]، ثمّ الإعلان عن فكّ الارتباط معها، الذي مهّد له زعيم القاعدة أيمن الظواهريّ، بأنّه لن يكون عائقاً في وجه ما وصفها بالآمال العظيمة للأمّة[100]، ومن بعده نائب

---

[97]– برز اسم جماعة "جيش الفتح" الإرهابيّة على السّاحة الميدانيّة في سوريا، بعد دخول الجماعة إلى مدينة إدلب السوريّة في شمال سوريا، و"جيش الفتح" عبارة عن تحالف عدد من الفصائل المسلّحة، رغم الاختلاف بينها، وعلى رأسها جبهة النصرة، و"أحرار الشام" المتشدّدة، وجماعات مسلّحة ذات طابع علماني.

[98]– بشير عيّاش، "الشامية": نتفق مع الجبهة عسكريّاً ونختلف في الفكر: رويترز: قطر تمد جبهة "النصرة" بالمال لتبتعد عن القاعدة، موقع عاجل، 4 آذار 2015.

[99]– إذ أكد الجولاني في حواره مع قناة الجزيرة ضمن برنامج "بلا حدود" المذكور آنفاً، ارتباط "النصرة" بـ"القاعدة"، واستبعاده خيار فك الارتباط معها.

[100]– قال زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري إنّ انتماء جبهة النصرة تنظيميّاً للقاعدة "لن يكون عائقاً" في وجه ما وصفها بالآمال العظيمة للأمّة، وأضاف الظواهري في تسجيل صوتي منسوب له، بثّ على شبكة الإنترنت أنّ "الكثيرين تحدّثوا وخاضوا في مسألة ارتباط الجبهة بجماعة قاعدة الجهاد". وأضاف أنّه "إذا اختار المسلمون في بلاد الشام حكومة مسلمة وإماماً لهم، فإنّ هذا الاختيار هو اختيار القاعدة"، وقال إنّ التنظيم "ليس من طلّاب السلطة، بل من طلّاب تحكيم الشريعة"، مشدّداً على أنّ "القاعدة لم تقفز على الأمّة ببيعة مجاهيل، ولا بخليفّة مفاجآت". وقال مدير مكتب الجزيرة السابق في باكستان أحمد زيدان إنّ تسجيل الظواهري ينطوي على رسالتين، هما النفير إلى سوريا لدعم الثورة هناك، في ظل التدخّل الإيراني المكشوف، والرسالة الثانية – وهي الأهم – أنّ جبهة النصرة ستكون في حلٍّ من ارتباطها التنظيمي بالقاعدة إذا أقام مجاهدو الشام إمارة إسلاميّة في سوريا. وأضاف زيدان أنّ معلومات تفيد بأنّ هناك اتصالات بين جبهة النصرة وبعض مجاهدي الشمال من أجل تشكيل كيان سياسيّ في الشمال السوري، وقد أبدت الجبهة – المصنّفة دوليّاً منظّمة إرهابيّة– استعدادها لفكّ ارتباطها مع القاعدة؛ من أجل تشكيل هذا الكيان الأشبه بدولة. أنظر: الجزيرة، الظواهري: انتماء جبهة النصرة للقاعدة ليس عائقا، 8 أيار 2016.

الظواهريّ أحمد حسن أبو الخير[101]، أنّ النصرة تضمّ تيارين، أحدهما متشدّد في موقفه المتبنّي لاستمرار الارتباط التنظيميّ بالقاعدة المركزيّة، ضمن منظومة "الجهاد العالميّ"، غير مبال بنتائج وتبعات هذا الارتباط، وغير موافق على فكّه؛ وتيار براغماتيّ، يقوده زعيم الجبهة أبو محمد الجولانيّ، الذي يميل إلى إضفاء الطابع المحلّيّ للجبهة، رغم موقفه المتشدّد سابقاً في تأكيد الولاء للقاعدة المركزيّة، وزعيمها أيمن الظاهريّ، ورفضه الدخول في الدّولة الإسلاميّة التي أعلن عنها البغداديّ.

ولعلّ موقف القياديّين البارزين في النصرة "أبو جليبيب الأردنيّ" و"بلال خريسات" الآنفي الذكر، اللذين أعلنا انشقاقهما عن النصرة، بسبب فكّ الارتباط بالقاعدة، يكشف عن عدم رغبة حقيقيّة لدى زعيم القاعدة في خيار الإعلان عن انفصال النصرة عن القاعدة المركزيّة، إلا أنّ توجّه الجولانيّ ومن معه من قياديّي الجبهة وضع القاعدة أمام خيارين، أحلاهما مرّ، إمّا الإعلان عن موافقتها على قرار الإعلان عن الانفصال، ما يجعل حصول فكّ الارتباط سلساً، وفي ذلك حفظ لصورة القاعدة وزعيمها، وبقاء صورة التماسك بين إخوان "الجهاد"، وإمّا إبراز موقف رافض لهذا الإعلان، على غرار الموقف من الدولة الإسلاميّة وزعيمها البغداديّ، بما يعنيه من هزّ لصورة تماسك القاعدة، ومسّ بزعيمها، وبالتالي، مزيد من إبراز حالة الشّرخ والتّباعد بين إخوة "الجهاد".

وربّما يبدو أنّ هناك مصلحة خاصّة لزعيم النصرة أبو محمد الجولانيّ، تتّصل بتحرّره من قيود القاعدة، وخضوعه لالتزاماتها، وتلقّي أوامر زعيمها أيمن الظواهريّ، والعمل على تحقيق حلم الأمارة الخاصّة بالنصرة في إدلب التي لم تنفه النصرة بالمطلق، كما سبق ذكره، ما يمنح النصرة وزعيمها موقعاً قويّاً في المعادلة السوريّة، ورقعة جغرافيّة تعدّ مكاناً لجذب الشباب المتحفّز للدولة الإسلاميّة وحكم الشريعة، وبديلاً عن الدولة الإسلاميّة القائمة في العراق، أو منافساً لها.

وبرأي بعض المحلّلين (عبد الباري عطوان)، إنّ هذا الإعلان "إنّما هو نتيجة ضغط الدّول التي تدعم "جبهة النصرة"، وعلى وجه التحديد دول الخليج. فالدّاعمون يريدون اليوم تبرئة أنفسهم من تهمة الإرهاب وتهمة دعم جماعة تنتمي لتنظيم "القاعدة" في سوريا". وبحسب وجهة النظر هذه، فإنّ التّغيير الحاصل "هو تغيير في الاسم، وليس تغييراً في الجوهر"[102]. وبالتالي، لم يكن هذا الإعلان نابعاً من توجّه حقيقيّ لدى قيادة النصرة، ولا تعبيراً عن إرادة حرّة، وقناعة ثابتة لديها.

ولعلّ مصدر الضّغط المباشر الأبرز، مضافاً إلى قطر، هو من الجانب التركيّ الذي يمتلك أوراق قوّة في الأرض السوريّة التي تتحرّك فيها المجموعات المسلّحة، بما فيها جبهة النصرة، إضافة إلى تشابك المصالح معها، ما يسمح لتركيا بممارسة الضّغوط على من تشاء من الفصائل والمجموعات؛ لأسباب تصبّ في مصلحة تركيا أو تلبية لرغبات دول أخرى أو ضغوط خارجيّة عليها. وقد عبّر رئيس الوزراء التركيّ رجب طيب أردوغان عن موقفه الرّافض لإدراج النصرة ضمن المنظّمات الإرهابيّة، حسب ما نقله الإعلام التركيّ، حيث تساءل "لماذا نعتبر جبهة النصرة إرهابيّاً؟، في

---

[101]– قال أحمد حسن أبو الخير، نائب الظواهري زعيم تنظيم القاعدة، في رسالة صوتية بثّت يوم الخميس 28 تموز 2016 – (أي في نفس اليوم الذي أعلن فيه أبو محمد الجولاني فكّ ارتباطه بالقاعدة) – موجّهة إلى قيادة جبهة النصرة. وقال نائب التنظيم في رسالته، إنّه "بعد دراسة الوضع العسكري والسياسي، وما يتعرّض له أهل الشام، وللحفاظ على الجهاد الشامي راشدًا قويّاً وإبعاد الذرائع لفصل المجاهدين عن حاضنتهم، وفي ظل ما وصل إليه الجهاد في الشام فإنّه لا ينبغي أن يقاد بعقليّة الجماعة أو التنظيم، بل ينبغي أن تكون التنظيمات والجماعة دائرة جمع وحشد، لا تفريق ومنابذة". وفي موافقة علنيّة لفك ارتباط النصرة بالقاعدة قال أبو الخير "للمضيّ قدماً بما يحفظ الإسلام والمسلمين، ويحمي جهاد أهل الشام، واتّخاذ الخطوات المناسبة تجاه هذا الأمر". كما دعا "كلّ الفصائل المجاهدة على أرض الشام للاجتماع على ما يرضي الله، والولاء لأهل الإيمان، والوقوف صفّاً واحداً"، داعياً أيضاً "للاجتماع على حكومة إسلاميّة راشدة".

[102]– ما هي أسباب انفصال "جبهة النصرة" عن تنظيم "القاعدة"؟، الشرق الأوسط، 16 تموز 2016.

إشارة إلى عدم قناعته بذلك، وامتعاضه من الدّعم الذي تتلقّاه وحدات حماية الشّعب والمرأة التي تحارب داعش، تحت مظلّة قوّات سوريا الديمقراطيّة"[103]، علماً بأنّ حكومة رئيس الوزراء التركيّ رجب طيب أردوغان نفسها كانت أدرجت النصرة بتاريخ يوم الثلاثاء، 3 حزيران 2014 إلى لائحتها للمنظّمات الإرهابيّة، التي تفرض عليها عقوبات ماليّة، ونشرت هذه اللائحة في الجريدة الرسميّة[104]، وكان واضحاً "أنّ تركيا تسعى، من خلال تعاملها المزدوج مع "جبهة النصرة"، إلى ترويض الأخيرة، وإدخالها في حظيرتها، بالتّراضي حيناً وبالإكراه حيناً آخر"[105].

وبطبيعة الحال، فإنّ تركيا من أبرز الدّول التي دعت النصرة لفكّ ارتباطها بالقاعدة؛ لا سيّما بعد رعايتها إنشاء ما سمّي بجيش الفتح الذي يضمّ النصرة، ويحتاج إلى كسب شرعيّة محلّيّة، وتأييد دوليّ، لا يتوفّر بارتباط فصيل بالقاعدة، كما أنّ محاولات تركيا تحييد النصرة عن دائرة الاتّهام بالإرهاب، وتوفير الدّعم الماليّ والسياسيّ والعسكريّ لها، لن تتمكّن من المجاهرة به ما دامت النصرة مرتبطة بالقاعدة، "فالوعود الموجّهة إلى "النصرة" كانت تتضمّن رفع اسمها من قائمة الإرهاب الدّوليّة، لا فقط التركيّة. في المقابل، كان تشكيل "جيش الفتح في إدلب" في الرّبع الأوّل من عام 2015 بمثابة الجزرة التي تمّ إلقاؤها أمام "النصرة" لإقناعها بأنّ الرّضوخ للضّغوط التركيّة ـ القطريّة سينعكس عليها إيجاباً من كافّة النّواحي، وقد دعمت تركيا "جيش الفتح" حتى مكّنته من السّيطرة على عموم محافظة إدلب، وأصبحت "جبهة النصرة" شريكة أساسيّة في إدارة المحافظة والاستفادة من "غنائمها""[106].

كما أنّ هاجس تركيا من الأكراد وخشيتها من اتّساع دائرة تمدّدهم على حدودها، وإقامة إقليم كردستان في سوريا، على غرار إقليم كردستان العراق، كان سبباً إضافيّاً يدفع تركيا لاستمالة النصرة، باعتبارها الفصيل المسلّح الأقوى على السّاحة السوريّة، والأقدر على ردع الأكراد، في ظلّ إخفاقها في القيام بمثل هذا الدّور بنفسها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك المعارك التي جرت في منطقة رأس العين بمحافظة الحسكة على الحدود السوريّة بين قوّات الحماية الشعبيّة الكرديّة وتنظيمي داعش والنصرة، التي كشفت مستوى المساهمة التركيّة والدعم المباشر لتلك الجماعات[107]، وكانت النصرة نفسها قد تحدّثت عن نوايا تركيا بهذا الخصوص، في بيان لها، لدى إخلائها مواقع في مواجهة تنظيم داعش شمال حلب، قالت فيه إنّ "تركيا تعمل لمنع تشكيل دولة كرديّة في شمال سوريا، وإنّ الحكومة التركيّة والتّحالف الذي تقوده الولايات المتّحدة ضدّ الدولة الإسلاميّة هدفهما تحويل دفّة القتال حسب أولويّاتهما"[108].

غير أنّ موقف النصرة المتعارض مع الأولويّات التركيّة جعلها في موقف المتصادم مع الحكومة التركيّة مجدّداً، ما جعل خطوة فكّ الارتباط عن القاعدة ناقصة في الحسابات التركيّة، وعدم إطاعة كاملة، وتجلّى هذا في "اتّفاق موسكو" بين روسيا وإيران وتركيا، بتاريخ 20 كانون الأوّل 2016، وتضمّن ثمان نقاط، أبرزها الموافقة على إجلاء

---

[103]– انظر: اردوغان ممتعض كون جبهة النصرة ارهابياً والخارجية الاميركية ترد، روج نيوز– مركز الاخبار، 24 حزيران 2016.

[104]– انظر: تركيا: "جبهة النصرة" منظمة إرهابية، سكاي نيوز عربية، الثلاثاء 3 حزيران 2014.

[105]– عبد الله سليمان، تركيا و"النصرة" إلى "أبغض الحلال".. فهل سيسري في إدلب؟، مرجع سابق.

[106]– المرجع السابق نفسه.

[107]– انظر: رئيس حزب "PYD" الكردي لـ"زمان الوصل": من يقاتلون في رأس العين قوى تكفيرية ولتذهب النصرة إلى تورا بورا، موقع زمان الوصل (https://www.zamanalwsl.net/news/35339.)، 29 كانون الثاني 2013. ففي حديثه لزمان الوصل اتّهم رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي "PYD" صالح مسلم تركيا بأنّها "تريد أن تضرب الأكراد في مناطقهم"، وذكرأنّ مسلّحي الفصائل "جاؤوا من تركيا، ويتلقون الدّعم منها".

[108]– جبهة النصرة تخلي مواقع تريدها تركيا منطقة عازلة بشمال سوريا، موقع رويترز ((http://ara.reuters.com/article/topNews/، 10 آب 2015.

المسلّحين من شرق حلب، التأكيد على دعم الدّول الثلاث "لسوريا موحّدة وعلمانيّة"، وتأكيد "التزامها بحرب مشتركة لمكافحة تنظيمي داعش وجبهة النصرة والعمل على فصلهما عن مجموعات المعارضة المسلحة"[109].

الموقف الغربيّ من جبهة فتح الشّام

لم يغيّر إعلان الجولاني شيئاً من هويّتها المتطرّفة أو أولويّة محاربتها بالنّسبة للولايات المتّحدة الأميركيّة والمجتمع الدّوليّ، رغم التسمية الجديدة لتنظيمه، وفكّه رسميّاً عن القاعدة، ووفقاً لتقرير نشرته صحيفة "لوبس" الفرنسيّة حول إعلان "جبهة النصرة" فكّ ارتباطها بتنظيم القاعدة ووقف العمل بهذا الاسم، وتشكيل جماعة جديدة باسم "جبهة فتح الشّام"، أنّ هذه الجماعة "تريد من خلال هذه الخطوة، كما تؤكّد، "حماية الثّورة السوريّة"، ودفع ذرائع المجتمع الدّوليّ لاستهدافها، وتصنيفها على أنّها منظّمة "إرهابيّة" من قبل واشنطن. وأوضحت أنّ هذا الإعلان جاء بعد أسبوع من موافقة وزير الخارجيّة الروسيّ سيرجي لافروف ونظيره الأميركي جون كيري، على شنّ معركة مشتركة ضدّ جبهة النصرة وتنظيم الدّولة الإسلاميّة. كما يأتي فكّ الارتباط هذا، في وقت، اقترب فيه الجيش السوري وحلفاؤه من السيطرة على مدينة حلب الواقعة شمال سوريا، بعد محاصرة الأحياء المتمرّدة بشكل كامل. وتشارلز ليستر، الخبير المتخصّص في الجماعات "الجهاديّة"، أوضح، أنّ الهدف من إعلان جبهة النصرة، في الوقت الحاليّ، حماية أنفسهم من الحملة الروسيّة ـ الأميركيّة، المتوقّعة، بهدف "إقحام أنفسهم داخل الثّورة السوريّة، وضمان مستقبل طويل الأمد"[110].

وفي أوّل تعليق على إعلان الجولاني، أعلن البيت الأبيض أنّه على رغم أنّ جماعة "جبهة النصرة" أعلنت قطع صلاتها بتنظيم "القاعدة"، إلّا أنّ تقييمه لها لم يتغيّر، لا، بل بدا بحسب تقييم الإدارة الأميركيّة المعلن أنّ نشاط النصرة الإرهابي بدأ يتّخذ مساراً متصاعداً، يتجاوز الدّاخل السوريّ، وبات يشكّل تهديداً للخارج، فقال النّاطق باسم البيت الأبيض جوش إرنست للصحافيّين خلال إفادة صحفيّة: "ما زالت لدينا مخاوف متزايدة من قدرة جبهة النصرة المتنامية على شنّ عمليّات خارجيّة، قد تهدّد الولايات المتّحدة وأوروبا".

وقال الناطق باسم الخارجيّة جون كيري إنّ إعلان "جبهة النصرة" يمكن أن يكون ببساطة مجرّد تغيير للمسمّيات وإنّ الولايات المتّحدة ستحكم عليها من تصرّفاتها وأهدافها وعقيدتها"، وقالت وزارة الخارجية الأميركية إنّ "جبهة النصرة" ما زالت هدفاً للطائرات الأميركيّة والروسيّة في سوريّة، رغم قرارها قطع العلاقات مع "القاعدة" وتغيير اسمها إلى "جبهة فتح الشام"[111]. وتأكيداً لموقفها المعلن، نفّذت طائرات التّحالف الدّوليّ الذي تقوده الولايات المتّحدة عدداً من العمليّات الجويّة ضدّ أهداف تابعة لجبهة فتح الشّام وقادتها، أوّلها استهداف "أبو عمر سراقب" (المعروف أيضاً بأبي هاجر الحمصي)، أحد القادة البارزين في الجبهة والقائد العسكريّ العامّ لتحالف "جيش الفتح"، الذي قتل وعدد آخر من قادة الجبهة أثناء اجتماع كانوا يحضرونه[112]. وكرّر التحالف الدّوليّ استهدافه

---

[109]– اتفاق روسي تركي إيراني من 8 نقاط في "وثيقة موسكو" المتعلقة بسوريا، روودا، 21 كانون الأول 2016.

[110]– انظر: عبد المقصود خضر، لوبس: 4 أسباب وراء فك جبهة النصرة ارتباطها بالقاعدة، مصر العربيّة، 29 تموز 2016.

[111]– انظر: الجولاني يعلن فك ارتباط "النصرة" في سورية مع "القاعدة"، الحياة، ٢٨ تموز ٢٠١٦. نقلاً عن رويترز، ا ف ب.

[112]– انظر: "مقتل أبو عمر سراقب أحد قادة جبهة فتح الشام البارزين في غارة جوية على حلب"، بي بي سي، 9 أيلول 2016.

الجبهة وكوادرها بسلسلة غارات جويّة، في أوقات مختلفة[113]، وقد جاء ذلك، في الحقيقة، ردّاً على موقف الجولانيّ من الهدنة المعلنة في الاتّفاق الروسيّ الأميركيّ بتاريخ 12 أيلول 2016 الذي استثنى تنظيمي الجبهة وداعش منها، وقد صعّد فيه الجولانيّ موقفه من أميركا المعادي، معتبراً أنّ "أميركا "وضعت نفسها في صفّ الرّوس والنّظام، وستجد نفسها في صدام، ليس في مواجهة فصيل واحد، وإنّما في مواجهة الشّعب"[114].

وكرّرت الجبهة بعد ذلك بأيّام موقفاً أكثر تصعيداً ضدّ أميركا وتركيا معاً، في بيان أصدرته تعليقاً على عمليّة "درع الفرات" في مرحلتها الثالثة، التي استهدفت تنظيم "داعش"، وشارك فيها فصائل معارضة، بينها فصائل مدعومة من القوّات الأميركيّة، بقيادة تركيّة، فأعلنت الجبهة حرمة "الاستعانة بالجيش التركيّ"، و"حرمة القتال بريف حلب الشماليّ، تحت أيّ طرف إقليميّ أو تحالف دوليّ، لا على جهة الاستعانة، ولا من باب التنسيق لعدم توفّر الشّروط الشرعيّة بهذه الحالة"، وقالت "فالأميركان عدوّ كافر صائل مباشر على المسلمين، فيحرم التّعامل معه بأيّ نوع من أنواع التّعامل، تحت أيّ مبرّر وذريعة، مهما تأوّل المتأوّلون حينها فلن يجنوا سوى الحكم عليهم بحكم من يتولّى الكافرين"[115].

وسرعان ما انعكس التّصعيد المتبادل في المواقف إلى تصعيد على الأرض، وبدا ذلك من خلال الأحداث والتطوّرات الأمنية المتسارعة، ومنها المتعلّقة بعمليّات الاغتيال والقصف الجوي لعناصر وقيادات بارزة في فتح الشّام (النصرة سابقاً) في إدلب، وطالت أكثر من مئة منهم في الأسبوعين الأوّلين من العام 2017، بينهم أسماء من الصفّ الأوّل[116]، نفّذتها طائرات أميركيّة، انطلقت من قاعدة أنجرليك التركيّة، وأيضاً الأحداث المتعلّقة بالاشتباكات التي وقعت بين فتح الشام وبين الفصائل الأخرى التي شارك بعضها في محادثات الأستانة بشأن الحلّ في سوريا[117]، وكذلك في إعادة إدراج وزارة الخارجيّة التركيّة لها مجدّداً على لائحة الإرهاب الخاصّة بتركيا[118] في 26 كانون الثاني 2017.

---

[113]– في تاريخ 1/1 /2017 استهدفت طائرات التحالف الدّولي سيارتين لفتح الشام ما أسفر عن مقتل 12 عنصراً، بينهم قياديّان القحطاني والديراني، ليستهدف التحالف بعد يومين من الحادثة مقراً لفتح الشام بالقرب من سرمدا، أسفر عن مقتل 25 مقاتلاً من الجبهة. كما استهدف بعد ذلك القيادي في فتح الشام وابنه البالغ من العمر 15 عاماً وشخصاً آخر في بلدة تفتناز بريف إدلب، بالإضافة إلى استهداف قيادي آخر في قضاء سنجار بعبوة ناسفة. كما شنّ في ريف إدلب، سلسلة غارات غير مسبوقة، استهدفت يوم الأربعاء 11 كانون الثاني 2017 سيارتين وعدّة درّجات ناريّة لمقاتلين من الجبهة على طريق مدينة سراقب بريف إدلب، وأدّت الغارات إلى مقتل 14 مقاتلاً، بينهم قياديان، هما "أبو عكرمة التونسي وأبو أنس المصري"، وجاء ذلك بعد ساعات قليلة من مقتل قياديين من "لواء الحق" المنضوي في غرفة عمليات "جيش الفتح" وجرح عدد آخر، إثر غارات جويّة، شنتها طائرات حربيّة روسية، على بلدة تفتناز بالريف الشمالي الشرقي. (انظر: استشهاد 14 مقاتلاً من جبهة فتح الشام بينهم قياديان بسلسلة غارات للتحالف، أورينت نت، 11 كانون الثاني 2017.

[114]– انظر: https://www.youtube.com/watch?v=kd7HIJTLPcY.

[115]– انظر: جبهة فتح الشام تحرّم القتال مع الجيش الأميركي في عملية "درع الفرات"، ARA News ، الجمعة 23 أيلول 2016. وتضمّ، المرجع المذكور نصّ بيان الجبهة بهذا الخصوص.

[116]– من بين الأسماء القياديّة البارزة التي تم اغتيالها: أبو عمر التركستاني، وأبو المعتصم الديري، وخطّاب القحطاني، وأبو فرج المصري، وأبو جعفر المصري، وأبو أنس المصري، وأبو حمزة المصري وغيرهم. انظر: أسبوع النصرة الأسود، وكالة أوقات الشام الإخبارية، 13 كانون الثاني 2017.

[117]– وكانت مواجهات عنيفة اندلعت إثر انعقاد مؤتمر أستانا في 23 كانون الثاني 2017، بين فصائل المعارضة وجبهة فتح الشام (النصرة سابقاً) بعد أن أعلنت كل فصائل المعارضة نيتها استئصال النصرة من سوريا بشكل كامل، رداً على قيام الأخيرة بمهاجمة المعارضة والسيطرة على عدد من مقراتها في ريفي إدلب وحلب. كما أعلنت 5 كتائب مقاتلة في حلب وإدلب انضمامها لحركة أحرار الشام ضد جفش (جبهة فتح الشام). وقال أسامة أبو زيد، المستشار القانوني للجيش السوري الحر "حان الوقت لتتوقف النصرة عن جرائمها، ويتوقف من يسمى الجولاني عن مسلسل الجرائم التي بدأت الجبهة بارتكابها منذ بدء الثورة السورية". وأمام سعي "جفش" إلى استئصال "خصومها"، وصف "المجلس الإسلامي السوري" الذي يشكل مرجعية لعدد من الفصائل الإسلامية عناصر "فتح الشام" بـ "الخوارج والبغاة"، ما يشكل دعوة أو مظلة لقتالها. انظر: "فتح الشام" تسيطر على سجن إدلب.. و"دعوة" لاستئصالها، موقع قناة العربية، 26 كانون الثاني 2017.

[118]– الخارجية التركية أضافت "النصرة" و "داعش" إلى لائحة المنظمات الإرهابية، بانوراما الشرق الأوسط، 26 كانون الثاني 2017.

وعليه، فإنّ الموقف المعلن من جانب الولايات المتّحدة الأميركيّة- ومثله التركيّ - تجاه جبهة فتح الشّام/ النصرة سابقاً، وتمسّكها بتصنيف الجبهة ضمن المنظّمات الإرهابيّة، وقيامها باستهداف عناصر الجبهة وكوادرها، لا يبدو أنّه مبدأيّ، على أرض الواقع، ويتعامل مع الجبهة على هذا الأساس بصورة مستمرّة، فقد غلب على سلوكها إزاء الجبهة أنّه تكتيكيّ أكثر منه استراتيجيّ، مع أنّ طبيعته استراتيجيّ، وهذا ينسجم مع أدائها العامّ في تعاملها مع الجماعات المتشدّدة، الذي لا تذهب به بعيداً، ولطالما حاولت واشنطن فتح قنوات حوار وتواصل مع فصائل إرهابيّة، ومنها القاعدة نفسها، وقد مارست، منذ البدء، ضغوطاً على النصرة من أجل تطويعها لصالح ألويّاتها في سوريا، وربّما تشكّل مقابلة الجولانيّ مع الجزيرة، الآنفة الذكر، رسالة إيجابيّة لواشنطن، تلاقي رسائلها الإيجابيّة تجاه النصرة، ما يجعل أميركا في موقع المتردّد في ضرب النصرة/ فتح الشّام أو المتحفّز لها، حاليّاً، واتّخاذ قرارات متضاربة، وفقاً لجدول أولويّاتها ومصالحها.

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
the Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسسة علمية متخصّصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات، وتهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية وتواكب المسائل الاستراتيجية والتحولات العالمية المؤثّرة.

هاتف: 03/836610

فاكس: 01/836611

خليوي: 03/833438

البريد الإلكتروني:

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

الرمز البريدي:

Baabda 10172010

P.O. Box: 24/47

Beirut - Lebanon

P.O. Box: 24 / 47

صادر عن المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

اعداد : الدراسات الاجتماعية

تاريخ النشر: شباط 2017

العدد : الثالث

الطبعة الاولى

القياس: 24 × 29